فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الأحد ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٢٣ — ٢١ مايو (أيار) سنة ١٩٠٥)

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الأزهر)

﴿ تتمة تفسير الآيتين اللتين في الجزء الماضي ﴾

ثم قال تعالى (ويسئلونك عن اليتامى) الخ أخرج أبو داود والنسائي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال لما نزلت « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن » و « إن الذين يأكلون أموال اليتامى » الآية انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله : ويسئلونك عن اليتامى : الآية . ذكره السيوطي في أسباب النزول

نعم ان آيات الوصية في اليتامى كثيرة ومنها ما نزل في مكة كقوله تعالى

« ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن » في سورة الاسراء (١٧) وقوله تعالى « فأما اليتيم فلا تقهر » في سورة الضحى (٩٣) وقوله عز وجل « فذلك الذي يدع اليتيم » في سورة الماعون (١٠٧) جعل دع اليتيم وهو دفعه وزجره بعنف أول آيات التكذيب بالدين . وأجمع ما ورد في ذلك وآكده آيات سورة النساء (٤) وهي مدنية كسورة البقرة ومنها قوله تعالى « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا » وقد كان السابقون الأولون من المؤمنين يحفظون حدود الله تعالى ويأخذون القرآن بقوة لأنهم لبلاغتهم يفهمون الوعيد في مثل هذه الآية فتحدث لهم من الذكرى والتأثر ما لا يجد مثله من لم يؤت بلاغتهم . وليس المراد ببلاغتهم أنهم قرأوا علم المعاني والبيان فحفظوا في أذهانهم عللا كثيرة للتقديم والتأخير في المسند والمسند اليه ونحو ذلك وانما هي مقاصد الكلام ومغازيه تغوص في أعماق القلوب كما يغوص الماء في الاسفنج فلا تدع فيها مكانا يتعاصى على تأثيرها كما قال الاستاذ الامام . هذا التأثر والاعتبار بوصايا الكتاب العزيز في اليتامى قد ملك نفوس المؤمنين فكانوا في حيرة وحرج من أمر القيام عليهم واستغلال أموالهم خوفا أن ينالهم شيء من الظلم المذكور في آية سورة النساء لان الظلم يتناول كل ما خرج عن الحق فاذا اختلط اثنان في النفقة وأكل أحدهما مما اشتري بمالهما أكثر من الآخر تكون الزيادة من مال الآخر فان كان راشدا فرضاه ولو بالعرف أو القرينة إذن يبيح هذا التناول وأما اذا كان الخليط يتيما فان الزيادة تكون مظنة الظلم أو هي منه حتما ولذلك تأثم الصحابة عليهم الرضوان من مخالطة اليتامى بعد نزول آية النساء وان كانت العادة جارية بتسامح الناس في مؤاكلة الخلطاء والشركاء من غير

تدقيق فكان بعضهم يأبى القيام على اليتيم وبعضهم يعزل اليتيم عن عياله فلا يخالطونه في شيء حتى انهم كانوا يطبخون له وحده ثم انهم فطنوا الى ان هذا على ما فيه من الحرج عليهم لا مصلحة فيه لليتيم بل هو مفسدة له في تربيته ومضيعة لماله وفيه من القهر المنهي عنه ما لا يخفى فانه يكون في البيت كالكلب أو الداجن في مأكله ومشربه . ومن هنا جاءت الحيرة واحتيج الى السؤال عن طريق الجمع بين الأمرين والتوحيد بين المصلحتين بأن يعيش اليتيم في بيت كافله عزيزا كريما كأحد عياله ويسلم الكافل من أكل شيء من ماله بغير حق وكان من فضل الله تعالى ورحمته ان أنزل الوحي في ازالة الحيرة وكشف الغمة فقال لنبيه (قل) لهؤلاء السائلين عن القيام على اليتامى وكفالتهم وعن المصلحة في عزلهم أو مخالطتهم (إصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم) وقد أزالت الكلمة الاولى من هذا الجواب الوجيز شبهة المتأثمين من كفالتهم ، وكشفت الكلمة الثانية شبهة القوّام المتحرجين من مخالطتهم ، ومن هذا الجواب عرفنا حقيقة السؤال وهذا من ضروب الايجاز التي لم تعرف الا من القرآن

أما معنى كون الاصلاح لهم خيراً فهو ان القيام عليهم لاصلاح نفوسهم بالتهذيب والتربية ، واصلاح أموالهم بالتثمير والتنمية ، هو خير من اهمال شأنهم وتركهم لا تفسد أخلاقهم وتضيع حقوقهم - خير لهم لما فيه من صلاحهم وخير للقوام والكافلين لما فيه من درء مفسدة اهمالهم ، ومن المصلحة العامة في صلاح حالهم ، ولما في ذلك من حسن القدوة في الدنيا ، وحسن المثوبة في الاخرى ، . قال في التفسير الكبير قال القاضي : هذا الكلام يجمع النظر في صلاح مصالح اليتيم بالتقويم

والتأديب وغيرها لكي ينشأ على علم وأدب وفضل لان هذا الصنع أعظم تأثيرا فيه من اصلاح حاله بالتجارة ويدخل فيه أيضا اصلاح ماله كي لا تأكله النفقة من جهة التجارة ويدخل فيه أيضا معنى قوله تعالى «وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب»

واما قوله (وان تخالطوهم فاخوانكم) فمعناه انه لا وجه للتأثم من مخالطتهم في المأكل والمشرب والمكسب فهم اخوانكم في الدين ومن شأن الاخوة ان يكونوا خلطاء وشركاء في الملك والمعاش ولا ضرر على أحد منهم في ذلك بل هو نافع لهم لان كل واحد منهم يسعى في مصلحة الجميع والمخالطة مبنية بينهم على المسامحة لا تنافي مظنة الطمع وتحقق الإخلاص وحسن النية . كما هو مقتضى قوله إن تخالطوهم فإخوانكم أي عاملوهم معاملة الاخوة في ذلك فيكون اليتيم في البيت كالأخ الصغير يراعى مصلحته بقدر الامكان ، ويتحرى ان يكون في كفته الرجحان ، وقيل ان المراد بالمخالطة المصاهرة واخوة الاسلام علة حلها وقد أطال أبو مسلم في ترجيح هذا الوجه . وهذا الذي هدانا اليه الكتاب العزيز في شأن اليتامى من معاملتهم كالاخوان مبني على ما أودع الفطرة السليمة من الحب والاخلاص للاقربين وقد طرأ الفساد على هذه الرابطة النسبية في بلاد كثيرة بما أفسدت السياسة في الامة فصار الاخ يطمع في مال أخيه ، ويحفر له من المهاوي ما الله هو يقع فيه ، وأمثال هؤلاء الذين فسدت طباعهم واعتلت اخلاقهم لا يوكل اليهم الرجوع الى الفطرة ، وتحكيمها في معاملة اليتامى كالاخوة ، لذلك لم يكتف القرآن بذلك حتى وضع للضمير والوجدان ، قاعدة يرجع اليها في هذا الشأن ، فقال

(والله يعلم المفسد من المصلح) أي انه لم يكل أمر مخالطة اليتامى الى حكم

نزعة القرابة وعاطفة الاخوة من قلوبكم الا وهو يعلم ماتسر هذه القلوب من قصد الاصلاح لهم أو الافساد فعليكم ان تراقبوه في أعمالكم ونياتكم وتعلموا ان سيحاسبكم على مثقال الذرة مما تعملون لهم. والمصلح هو من يأتي بالاصلاح عملا والمفسد هو من يأتي بالافساد عملا وحال كل منهما ظاهرة للبيان وإنما أيقظ الله تعالى القلوب الى ذكر علمه بذلك لتلاحظ اطلاعه على العمل وتتذكر جزاءه عليه وتراقبه فيما خفي منه لعلها تأمن من مزالق الشهوة ، وتسلم من مزال الشبهة ، فان شهوة الطمع تولد لصاحبها شبهة أكل مال اليتيم ، كما يأكل صاحبها مال أخيه الضعيف ، ولاعاصم من ذلك الا بمراقبة الله تعالى وتقواه ، والا فاننا نرى أكثر الاوصياء على الايتام في هذا الزمان [illegible] بصلاح أحوالهم وتدبير أموالهم مع العفة والزهادة فيها وهم في الباطن يأكلونها أكلا لما حتى إن واحدهم يصبح غنيا بعد فقر ولا عمل له الا القيام على اليتيم والاجرة المفروضة له على الوصاية لاتغنيه فيها ليكون غنيا بها . وكل من يطلب ان يكون وصيا على يتيم ويسعى لذلك سعيه فهو موضع للظنة وقلما يوجد فيهم من يرضى بما يفرض له على عمله وسيأتي ما يحل للوصي من مال اليتيم وما يحرم في سورة النساء إن شاء الله تعالى

ثم بين لنا سبحانه وتعالى منته علينا ورحمته بنا بما أذن لنا من مخالطة اليتامى فقال (ولو شاء الله لأعنتكم) أي أوقعكم في العنت وهو المشقة بأن يكلفكم القيام بشؤون اليتامى وتربيتهم وحفظ أموالهم ولا يأذن لكم بمخالطتهم ولا بأكل لقمة واحدة من طعامهم ولكنه لسعة رحمته لا يكلف نفسا الا وسعها وما جعل عليكم في الدين من حرج ولذلك أباح لكم

مخالطة اليتامى على ان تعاملوهم معاملة الاخوة ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم وقد عفا عما جرى العرف على التسامح فيه لعدم استغناء الخلطاء عنه وقد وكل ذلك الى ذمتكم وأمركم بمراقبته فيه وهو الرقيب المهيمن الذي لايخفى عليه شيء من عملكم ولا من قصدكم ونيتكم . (ان الله عزيز حكيم) فلو شاء إعناتكم لعز على غيره منعه من ذلك اذ لاعزة تعلو عزته ولكن مضت حكمته بأن تكون شريعته جامعة لمصالح عباده جارية على سنن الفطرة المعتدلة التي فطرهم عليها، هكذا جعل الاستاذ الامام ذكر العزيز في هذا المقام لتقرير تعلق إمكان تعلق المشيئة بالاعنات وذكر الحكيم لتقرير التفضل بعدم تعلق المشيئة به وكل من الامرين مفهوم من قوله « ولو شاء الله لأعنتكم » ويحتمل ان يكون ذكر الاسمين الكريمين تقريرا لعزته وحكمته تعالى في المسائل الثلاث في الآيتين - مسألة الخمر والميسر ومسألة الانفاق ومسألة اليتامى - فانها وردت في الآيات معطوفا آخرها على أولها وفي العزة بمنع الناس بعض الشهوات وتكليفهم الانفاق من فضول أموالهم ومن حكمته أن منعهم مايضرهم من ذلك وكلفهم مافيه مصلحتهم وأن هداهم الى وجه منفعة النافع ومضرة الضار

الاستاذ الامام: النكتة في وصل السؤال عن اليتامى بالسؤال عن الانفاق والسؤال عن الخمر والميسر انه لما كان ذانك السؤالان مبينين لحال فريقين من الناس في الانفاق وبذل المال (على ماتقدم) ناسب ان يذكر بعدهما السؤال عن صنف هو من أحق أصناف الناس بالانفاق عليه وبذل المال في سبيل تربيته وإصلاح شأنه وهو صنف اليتامى وليس الترغيب بالانفاق عليهم ببعيد من هذه الآية وقد تكرر في غير هذه السورة . كأنه سبحانه

وتعالى يذكرنا عند الاذن بمخالطة اليتامى والترغيب فى الاصلاح لهم أن النفقة عليهم من أموالنا مندوب اليها وانهم من المستحقين لما تنفقه من العفو الزائد عن حاجاتنا فلا يليق بنا أن نعكس القضية ونطمع فى فضول أموالهم لأنهم ضعفاء قاصرون لا يستطيعون دفاعا عن حقوقهم ولا ذودا عن مصالحهم . فجمع الاسئلة الثلاثة فى الآيتين وعطف بعضها على بعض فى غاية الاحكام والالتئام . وترون من هذا السؤال وجوابه كيف كانت عناية المؤمنين فى حفظ أحكام الله واتقاء اعتداء حدوده وكيف شدد الله تعالى الامر فى شأن الايتام فلم يأذن بالقيام عليهم الا بقصد الاصلاح ولا بمخالطتهم الا مخالطة أخوة وكيف وجه القلوب مع هذا الى مراقبته والتذكر باحاطة علمه ثم ترون كيف اتخذ الناس هذه الآيات وسيلة للتلذذ بنغمات قارئيها أو التعبد بألفاظها دون الاهتداء بمعانيها ، ومن أخذته هزة عند سماع مثل قوله تعالى « والله يعلم المفسد من المصلح » فانها لا تلبث أن تزول ثم هو لا يزول عن إفساده ، ولا يرجع الى رشاده ، ومنهم من يتزيا بزي المتقين ، ويظهر فى صورة الصالحين ، ويكثر من التسبيح والتلاوة ، وحضور صلاة الجماعة ، حتى اذا ماجعل وصيا على يتيم لا ترى لذلك التحنث أثرا فى عمله ، ولا ذلك السمت حائلا دون زلله ، فهو ان أصلح شيئا يفسد أشياء ، ولا يراقب الله ولكن يراقب الحسبة والقضاء ، ذلك أن الاسلام قد صار تقاليد صورية ، وحركات بدنية ، ليس له منبع في القلوب ، ولا أثر صالح في الاعمال ، وإن الله تعالى لا ينظر الى الصور والابدان ، ولا يعبأ بالحركات والاقوال ، ولكن ينظر الى القلوب والارواح ، وما ينشأ عن صلاحها من خير وإصلاح ،

باب المقالات

الحياة الزوجية

٤

اختيار المرأة للرجل

ان الشروط التي تعتبر ضرورية في اختيار المرأة زوجاً يجب أن تعتبر ضرورية أيضاً في اختيار الرجل زوجا وهي صحة الجسم وصحة النفس أعني حسن الخلق والاستقامة وصحة العقل وهذه لازمة لما قبلها . ويزاد عليها القدرة على النفقة اللائقة كما يقول الفقهاء أو القدرة على الاستقلال بإنشاء عشيرة او أسرة كما يقول الحكماء، وهو ما يريده العوام بقولهم : فلان قادر على فتح بيت : والقدرة على النفقة اللائقة بحال المرأة تختلف بحسب طبقتها فزيد يستطيع كفاية من نشأت في بيت النعمة والترف ، وعمرو يستطيع أن يمون من نشأت في أرض الفاقة والتقشف ، والناس أصناف وطبقات ، والمتفاضل بعضهم على بعض درجات ولهذا الشرط هو ركن الكفاءة الركين في نظر أكثر النساء ، وفي عرف أكثر الأولياء ، وإن شئت قلت في عرف جميع الناس لان رضاء امرأة أو أولياء امرأة بزوج غير قادر على كفايتها مما تعودت من طعام وكسوة وخدمة نادر لايعتد به . والمرأة الغنية أحرص من الفقيرة على التزوج بالغني لانها وأهلها يحتقرون الفقير وما زال الاغنياء يتمايرون بمصاهرة من ينزل عن درجاتهم في الثروة الا أن يعلوهم بمجد أثيل، أو جاه عريض، فيمت اليهم بشرف صاعد، أو جد مساعد، ومن رفعه المال ، لايلبث أن يمد عنقه الى الجاه ، ويحاول أن يصيبه بتصي أهل السؤدد (*) وتذري ذوي المجد المؤثل . لاسيما من قل من هؤلاء مالهم، وساءت في الثروة حالهم . فالمال والشرف اذا انفردا كان كل منهما مشتقياً للآخر ومن جمع بينهما لايكاد يرضى بمصاهرة من فاته أحدهما الا اذا لم يجد له سهراً أمثله . وإنك لتجد من العوانس في بيوتات المجد والغنى مالا تجد مثله في بيوت المتوسطين ، والكواخ الفقراء والمعوزين ، وذلك خطء كبير ، وعتو عظيم

(*) تنصى القوم تزوج في نواصيهم أي اشرافهم ومثله تذراهم أي تزوج في ذروتهم

تمذر المرأة ويمذر وليها وذو قرابتها اذا لم يرضوا بصهر يعجز عن كفايتها لان المرأة ضعيفة الاستقلال، قليلة الاحتمال، اذا مسها العوز والاقلال، لا تستقر من القلق على حال . ثم انها ولوع بالحلية، فخور بالزينة، هلوع عند الحاجة، ضجور من الشدة، فهي أحوج من الرجل الى الكفاية ، وأشد تطلعا الى السعة والزيادة، وان قومها ليألمون لاعوازها مالا يألمون لعوز الرجل منهم وهو وارث مجدهم، وحافظ نسبهم، ونصيرهم عند الشدة، وغوثهم عند الحاجة ،لما انطوت عليه نفوسهم من الثقة باستقلاله ، وجدارته بإصابة المخرج من اقلاله ،وما أودعته قلوبهم من الشعور برقة حاشيتها دون التحمل، وضيق مذاهبها عن التحول، وإن حظ الولدان والاقربين وغيرهم من الرحمة والحنان والخوف والاشفاق والحزن والامتعاض والمضاضة والتمرد وغير ذلك من ضروب الشعور والوجدان انما يكون على مقدار الداعية الطبيعية لذلك فيهم . قيل لبعضهم أي ولدك أحب اليك ؛ فقال صغيرهم حتى يكبر ، وغائبهم حتى يحضر وسقيمهم حتى يبرأ .

يشبه أن يكون الناس عندنا ماديين في حسهم وشعورهم، ولذلك يبحثون عن ثروة من يخطب اليهم ظانين ان السعادة بجمعهم والهناء بعيشها مقرونان بمال من يتزوج بها وقلما يبحثون عن دينه وأخلاقه وآدابه . ذلك بأنهم يجهلون ان السعادة في النفس لا في اليد او الجيب ويغفلون عن حال الجم الغفير من أصحاب الجيوب الملأى والقلوب المرضى الذين شقيت بهم نساؤهم فهن يتمنين لو كانوا فقراء الجيوب أغنياء القلوب بالعفة والوفاء والحب والاخلاص، اذاً لكن أنعم بالا وأقر عينا وأهنأ عيشاً . فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى، الا من هذب نفسه الايمان والتقوى، وان من طغيان الغنى ، اذا لم يقترن بالادب والتقى، ان يغير صاحبه زوجه وسكنه ويتغير عليها ــ بغيرها باتخاذ الاخدان ، واتباع خطوات الشيطان، ويتغير عليها اذا زارت أو زارها الاهل والجيران ،فيعذبها بالغيرة عذاب الضعف ، أو يضارّها ليذيق عليها من غير ذنب ، وانما هو مثل الذواقين ،وتنقل المسرفين ،ومن وراء ذلك ان ارشاده عسير ، والانتصاف منه عزيز، لاسيما في بلاد فسدت حكوماتها ، وأكل السحت قضاتها . فأين السعادة والهناء في مصاهرة أمثال هؤلاء ؟

يسهل على الرجل المسلم أن يتخير من ربات الخدور من ترغب فيعرف عنها من وراء الحجاب كل ما يجب أن يعرفه ويعسر على الفتيات أن يعرفن ما تجب معرفته لصحة تخير الزوج وان فارقن الحجاب ، وعاشرن الرجال ، لان المرأة سريعة التصور سريعة التأثر سريعة الحكم سريعة الانخداع فهي لهذا قليلة الروية كثيرة الخطأ لاسيما اذا كانت عذراء ، خاضعة لسلطان الحياء ، تخدعها النظرة ، وتجاذبها الفترة ، ولذلك حظرت الشريعة الاسلامية على المرأة أن تزوج نفسها وجعلت أمرها في ذلك الى وليها واليها لابد من رضاهما معاً على أنها منحتها من حقوق التصرف في أموالها مالم تمنحه لها شريعة سواها بل نجد معظم البشر من جميع الشعوب والقبائل المختلفة في الملل والنحل متفقون على استقباح استقلال المرأة بتزويج نفسها وعلى وجوب تفويض أمرها في ذلك الى أوليائها وعصبتها ، ومنهم من لايتقيد باستئذانها واستئمارها كما أمر الاسلام بل كثرت هذه العادة في المسلمين على ما ورد عن الشارع من الأوامر باستئذان البنت في أمر زواجها باستئذان بها رضاً . فليس للولي أن يستبد بذلك فيزوجها بمن تكره ولو كان أباً لوجها .

يحسب أكثر الرجال أن للحسن والجمال سلطاناً على قلوب النساء لايدع فيه لغيره أمراً ولا نهياً وأن شغف النساء بالحسن يعلو شغف الرجال به فلو اطلقت لهن الحرية في تخير الازواج لما اخترن الا ذا الوجه الجميل والطرف الكحيل وان كان خبيس الابوين صفر اليدين عادم الفضيلتين — فضيلة العلم والادب — وهذا هو الوجه في الحجر عليهن ان يخترن لانفسهن فانهن يتبعن الهوى دون المصلحة فيصبحن على مافعلن نادمات بعد أن يقاسين من استبداد سلطان الجمال ، مالا طاقة لهن به ولا احتمال ، وهذا الحسبان خطأ سببه قياس أحد الصنفين على الآخر ، وهو السبب في تصدي حسان الوجوه من الشبان لتصبي النساء واغوائهن وقد يعد نجاحهم في التصبي دليلا على صحة القياس وماهو بدليل الا عند من يجهل التعليل

إن الفتنة بالجمال اولع بالرجال منها بالنساء فيقل في النساء من فتنت بجمال الرجل كامرأة عزيز مصر وصواحبها ولا يتناول الاحصاء عدد الرجال الذين فتنوا بجمال النساء كبني عذرة وأمثال بني عذرة من جميع القبائل والشعوب وهذا هو السبب

عندي في شكوى الرجال من قلة الوفاء في النساء • انما يفتن المرأة من الرجل تحببه اليها فهي مجنونة في حب الحب أي حب أن يحبها الرجل كما قالت علية بنت المهدي حكاية عن تجربة صنفها« تحبب فان الحب داعية الحب » فهن يفتن بالرجال على قدر تصيبهم لهن وتحببهم اليهن اذا هن صدقن وأمن" الخلابة والحيلة، وما أسرع تصديق الفتاة لغزل وحي العيون، وانخداعها بقول الزور ، واستسلامها لود المذوق ، والحب المصنوع، بل هي فتنة لا تكاد تسلم منها العوان، التي مارست الرجال وعرفت الزمان،

قرأت قصة (رواية) في امرأة كانت تدعى (فاتنة باريس) وكانت تهوي اليها افئدة الرجال، وتمطرها سحائب الاموال، فتفوز لديها آمال وتخيب آمال، حتى اذا ماعرض لها مرض حال له لونها ، وحال بين طلاب التمتع وبينها، انفض من حولها الناس الا رجلا واحداً كان الحب قد أخذ من نفسه مكاناً وران على عقله وحسه ، ثم اختطفه من طبيعة الرجال ، وطار به في فضاء الخيال، ولم تلبث المرأة ان أفاقت من غشية المرض فلم تر من تلك الجموع الا ذلك الرجل فتبين انه محب لها مخلص في حبه فاصطفته لنفسها، وتابت على يديه الى رشدها، وهجرت الرجال وهاجرت معه من باريس الى أريافها وهناك تزوجت به ومكنته من جميع ماملكت •

هذا الذي ذكرته من افتتان النساء بالتحبب والتصبي هو العلة الأولى فيما هو معروف بين الناس من ميل نساء المدن الى المتورّبين والمتطرّسين، وزهدهن في أهل العلم والدين، فهن يعتقدن ان هؤلاء في شغل عنهن، وان اولئك لم يبالغن في التطيب والتزين الالاجلهن، ثم صار ذلك عادة موروثة فيهن، وقد فشت هذه العادة السوءى في بيوت المترفين من أهل مصر وغيرها حتى ان العذارى ليقترحن أن يغير الخاطب لهن زيه العلمي ان كان عالما وقد يكون هذا التغيير بالاعلين بعد الزواج لانه يسهل على صاحبه الدخول في بيوت الفسق التي تخرب بينهما وتوقع بينهما، اما أهل البادية ومن في حكمهم فان نساءهم لا يعلن الا لمن اشتهر بالشجاعة والشهامة والرجولية والكرم وبهذه الصفات يتقرب الرجال الى النساء عندهم ولو وجد في المدن شبان يعرفن بهذه الصفات لفضل النساء عليهن أحداً فان من صفات الفطرة ان تحب المرأة من الرجل ماهو من شأن الرجولية والعكس بالعكس وهذا الذي يحكى عن نساء الامصار من ولعهن بالمخنثين ومن يقرب منهم هو

من فساد الفطرة . وقد كان من حسن تربية النساء في بلاد الانكليز أنهن قربن من الفطرة السليمة فقد اقترح عليهن في بعض الجرائد ان يذكرن أحب صفات الرجال اليهن فكان الجواب من أكثر من أجبن ناطقاً بحب صفات الرجولية من الشجاعة والاستقلال والسلطة عليهن

يقول اناس : ان الحب بين الزوجين هو الاساس الذي تقوم عليه جميع اركان سعادة الحياة الزوجية فاذا كان قوياً راسخاً فلا يضر هذه الحياة ضعف الاركان واذا كان غير قوي فان الاركان لاتلبث ان تسقط فيجب ان يؤذن للعذارى والايامى بمعاشرة العزاب على أعين اهليهن ومراقبتهم ليتخيرن منهم من يميل قلبه ، ويصفيهن حبه . :
وقد سبق القول في بحث تخير الرجل للمرأة بأن هذه المعاشرة ليست سبيلا موصلة الى الامنية التي يتمنون . واذا كان يعسر على الرجل ان يعرف قلب المرأة بمثل هذه المعاشرة التي يقصد بها الخطبة أفلا يكون وصول المرأة الى قلب الرجل اعسر لاسيما اذا كانت فتاة غرا ... ان كثرة معاشرة افراد كل من الصنفين للآخر يحبب اليهم التنقل في هذه الرياض ويزينه في قلوبهم حتى اذا ما تزوج اثنان منهم عن حب ثم فتر الحب للملل او لعارض يبدو لأحدهما او كليهما مما لم يكن في الحسبان تحن القلوب الى من كانت عرفت بالمعاشرة وتجنح الى التنقل ولا يعسر ذلك على من سبق له التمرن عليه والأنس به

الحب هو الركن الاول او الاساس لسعادة الزوجية وهو السكون المذكور في الآية الحكيمة «ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها» اوهو علته وقد تقدم شرح ذلك فلا نعيده ولكننا نزيد على ما قلناه هناك ان دوام الحب وسكون القلب انما يرجى بين زوجين لم يتعود الرجل منهما معاشرة النساء ولا المرأة معاشرة الرجال اذا كان اختيار كل منهما للآخر على الوجه الذي بينا فان علة سكون كل منهما الى الآخر ثابتة في اصل الفطرة وإنما يجب التخير للحذر من الصفات العارضة التي تشارك الفطرة في الاستحسان أو الاستهجان ولا شيء اقطع لرابطة الزوجية وأذهب بسعادتها من ميل احد الزوجين او كل منهما الى غير زوجه ميلا للمعنى الخاص بالزوجية

ان الحب الذي يكون للزوجين برابطة الزوجية نفسها هو الحب الذي يرجى

دوامه اذا روعي في عقد الرابطة صحة الجسم والنفس والتقارب في العادات والتأدب بأدب الدين وأهم هذه الآداب عفة الزوجين ورضى كل منهما بالآخر نصيبا له لايفضي الى سواه • ذلك بأن النزعة الطبيعية في كل من الصنفين الى الآخر مبهمة مضطربة في أصـل الفطرة فاذا تعينت في اثنين فأفضى بعضهما الى بعض وقد وطنا أنفسهما على إقامة سنة الفطرة والدين باحصان كل منهما للآخر وعدم التطلع الى سواه فهناك السكون التام والحب الخالص • وليس وراء الفطرة والدين مطلع لهناء العيش وسعادة الحياة ولكن هذا الانسان يخرج عن سننهما ليتمتع بالهناء وسعادة الحياة فيضل ويشقى

يقول غير المسلم: إن حب الزوجية لايكاد يتذوق حلاوته الزوجان المسلمان لان المرأة تكون مهددة دائما بأحد الامرين الطلاق أو الضرة : ونجيب عن هذا القول من وجهين أحدهما دفعه بقول مثله في الزوجين النصرانيين ومن في حكمهما وثانيهما البحث فيه وتعرف حقه من باطله • أما الاول فان الزوجين اللذين يرى أحدهما انه ملزم بالآخر إلزاما اجباريا حتما كأنه غل في عنقه والرق على كاهله ، فانه يمله ويستثقله فلا تسكن نفسه اليه ، ولا تقر عينه به ، ولا يخلص وده له ، وان كان قد رضي به قبل العقد انخداعا بما يخدع به الشباب ، أو ذهابا وراء الطمع في مال أو جاه ، فالمرأة تلج في الزهو والصلف ، وتتمادى في الحيلة والسرف ، والرجل يتجرع مرارة الصبر ولايكاد يسيغه ، وينشد استقلال الرجال فلا يجده ، وربما لجأ الى السلوة باتخاذ الاخدان ، أو الاختلاف الى ذلك المكان ... ان كان ، وليس هذا القول من تخيل الشعر بل هو الحقيقة حكاية عن شعور أهلها فقد سمعت أحد فضلاء الانكليز وهم أحسن الاوربيين حالا في الحياة الزوجية يقول ما مثاله : ان تحريم الطلاق ومنعه يشعر الرجل بأنه ملزم بالمرأة مجبور على ودها والتحبب اليها لافضل له في ذلك وما أعصى الحب والود على الإلزام كما يقول المثل «حبي غصبا» واذا كان يعلم من نفسه القدرة على فراقها فانه يكون على فطرته وأدبه في معاملتها يشعر بالسرور والارتياح لاختيار المعاملة الحسنة التي هي مناط السعادة الزوجية: فهذا هو شعور المهذبين الممنوعين من الطلاق فما بالك بغير المهذبين الذين يعجزون عن مكابرة شعورهم ، وتكلف المجاملة لمن يرتبط بهم ، والمرأة مع الفريقين شعوران مختلفان أحدهما الضعف والعجز وبهما

ترى نفسها أسيرة للرجل وثانيهما انه لا بد للرجل منها ولا قدرة له على الانفصال عنها والأثر الطبيعي لهذين الشعورين هو الكيد من جهة والصلف والعناد من جهة أخرى. ولا يقال ان هذه فلسفة لا يصدقها الواقع فانه ان كذبها فى الزوجين المتشاكلين فى الطباع المتاسيين بالتهذيب فانه يصدقها فى الازواج الذين خانهم الحظ فلم يمنحهم التشاكل والتناسب لاسيما اذا كانت المرأة عاقرا وظهرت آيات الخيانة من احد الزوجين او كل منهما للآخر. ناهيك بالمرأة العاقر عند ملك او أمير قد جعل الحكم إرثا فى ذريته او غني عظيم يعز عليه ان لا يكون له وارث يتمتع بماله

وأما الوجه الثاني وهو البحث فى فرق المرأة وحذرها من الطلاق أو الضرة فقد يقال فيه انه يكون من أسباب تحببها الى الرجل وعنايتها بإرضائه وان هذا السبب لمتا لف يقابله في الرجل حذره من خسارة المال اذا أراد استبدال زوج بزوج لأن الشرع يوجب عليه أن يمتع المتروكة بما تنفقه على نفسها مدة العدة التي لا يباح لها الزواج فيها وهذه خسارة فوق خسارة المهر وما عساه يكون مع المرأة من متاع وأثاث وماعون أو يكون لها من مال تمتعه به أو تدخره لولده ثم إنه لا بد أن يبذل للزوج الجديدة المهر اللائق بها. وهذان السببان فى حرص كل من الزوجين على التعلق بالآخر يدعمان سكون النفس الفطري في كل منهما الى الآخر. على ان الطلاق والمضارة بزواج أخرى هو خلاف الأصل الذي عليه الاكثرون من المسلمين وانا لنعلم ان الاكثرين من المتزوجين فى بلادنا لا يخطر فى بال الرجل منهم ولا المرأة أمر الطلاق أو المضارة أعني ان الرجل لا ينويه والمرأة لا تتوقعه منه وأن أكثر الذين يقع منهم الطلاق من غوغاء المسلمين فانما يقع منهم على سبيل التبع من شيء. كأن يقول واحدهم عليه الطلاق إن فعل كذا أو إن فعلت كذا ونحو ذلك. وما كان من ذلك تعليقا حقيقيا على فعل المرأة وهو الاكثر يجعل الطلاق فى يدها كما هو فى يده فيشتركان فيه. وقد ذهب الكثير من الاوربيين الى صحة الطلاق من كل من الزوجين وهذا شيء منه . ومن أئمة السلف من يقول بعدم وقوع الطلاق بأيمان اللجاج وكل لفظ لا يقصد به حل عقدة الزوجية قصدا صحيحا وعليه بعض علماء الحنابلة ولو حرر المسلمون مسائل الطلاق من غير التزام مذهب بأن يأخذوا من مجموع كلام الائمة

مايوافق النصوص المنطبقة على المصلحة العامة لما كان يقع الطلاق من المسلمين الا مثل مايقع ممن قلدهم فيه من الافرنج · ولعله يكون فى بعض البلاد الاسلامية أقل منه فى بعض بلاد الافرنج بل هو الآن أقل فى بعض البلاد·

ثم لاننكر أن المسلمين في بلاد مصر قد أسرفوا في الطلاق وفي التزوج بأكثر من واحدة فساءت حالة الحياة الزوجية فيهم وفى أمثالهم ممن على شاكلتهم وان قلوا وأنهم في ذلك على غير مايحب الاسلام ويرضى كما يعلمون في الطلاق وكما بينافي حكم تعدد الزوجات وشرطه فى المجلد الماضي ولكن سوء هذه الحال خاص بالمسرفين من أهلها وبمن يقربون منهم بما يروّعون نساءهم ويوقعون الريب في قلوبهن بكثرة الحديث فى التزوج وإظهار الميل الى بعض العذارى أو الايامى بالقول أو الفعل· وقد مرضت الفطرة في هؤلاء واعتل مرشدها وهو الدين حتى كان انحلال الرابطة الزوجية بعض أعراض ذلك المرض الذي فقد علاجه فهم لايذوقون للحياة الزوجية طعماً ولو لم يروّعوا نساءهم بالطلاق والمضارة الا أن يقيموا وجوههم للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها· فإن السعادة الزوجية كغيرها من ضروب السعادة لاتكاد تناول الا بمكارم الاخلاق ومحاسن الآداب التي جاء بها الدين ولذلك قال المصلح الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » الخ (رواه الترمذي والليث بن سعد) ومن يطلب السعادة بغير ذلك فهو من الخاسرين (للكلام بقية)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذلا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ تزويج الشريفة بغير كفؤ وسب العلماء واهانة كتب العلم ﴾

(س ١٤و١٥) ش · ع احد المشتركين بالمنار في (سنغافوره) : قاض زوج شريفة علوية صحيحة النسب شهيرته برجل هندي مجهول النسب شهد له اكثر

عنـد القاضي قالا : في بلدنا يقولون سيد : وبعد التحص عارض ذلك القاضي العلماء العارفون حتى اتضح بطلان العقد وفساده عند الجميع وعند القاضي أيضا فأبى الرجوع الى الحق والاعتراف بفساد العقد وساعده رجل آخر جهلا وهوى وتعنتا حتى ان المساعد لما روجع بما يقوله الشرع والعلماء وأحضرت له الكتب طفق يسب العلماء وقال لمن عارضه اطرح هذه الكتب في استك (قالها بالعبارة العامية المبتذلة) فالمؤمل من فضلكم الجواب مبسوطا على القاضي ومساعده وماذا يترتب على سب العلماء وعلى قوله اطرح هذه الكتب في ... فالمسألة واقعة حال والرجل والمرأة مقترنان حتى الآن سفاحا وعندنا بسنغافوره اختلفت الاجوبة فمن قائل بكفر المساعد وغيره ولا يرضي الجميع الا بجوابكم فانشروا جواب سؤالنا على صفحات مجلتكم المنار لازلتم ذخرا للخاص والعام وناصرين لشريعة أفضل الانام عليه الصلاة والسلام

(ج) نشرنا في الجزء العاشر من المجلد السابع مقالة في الكفاءة بينا فيها أن الكفاءة في النسب من المسائل الاجتهادية وأن المرجع فيها الى العرف وحده ولذلك صرح بعض الفقهاء بأن الشريف غير المشهور بالشرف ليس كفؤا للمشهورة بالشرف والظاهر من السؤال ان الواقعة لو ثبت فيها شرف الهندي لكانت من هذا القبيل ولا حاجة لبسط القول في هذا المقام بعد العلم بان العلماء العارفين حاجوا القاضي حتى حجوه واقتنع ببطلان العقد ولكنه لم يرجع اليه . ثم انكم لم تذكروا في السؤال هل كان لهذه الشريفة ولي ام لا فان لم يكن لها ولي وكانت هي راضية بهذا الزوج فالعقد صحيح لأنها اسقطت حق الكفاءة وليس لها أولياء يلحقهم العار بزواجها من غير الكفؤ فيعارضوا فيه . وان كان لها ولي فكيف زوجها القاضي بدون اذن وليها وهل عارض الولي أم لا ؟ كان ينبغي بيان ذلك

واما سب ذلك الجاهل للعلماء واهانته للكتب الدينية فهو من أكبر المعاصي لانه يسقط احترام العلم والدين وأهلهما من نفوس الجاهلين ويجرىء السفهاء على الفضلاء حتى تكون الامة فوضى ليس فيها كبير يحترم لفضله ، ولا صغير يؤمن بجهله ، ولا يتجه كون ذلك من الكفر الا اذا احتقت به القرآن والدلائل على أنه قال ما قال في كتب الدين وجعلها هزؤا بالدين نفسه لان غير معتقد به . وقد أفتى بعض فقهاء الحنفية

بردة من يحقر علماء الدين أو كتبه ونصوصه حتى قالوا ان من يعطي الفتوى فيلقيها في الارض ازدراء واحتقارا يكفر • ولما ذكر ابن حجر من الشافعية قاعدة ان من الردة كل فعل أجمع المسلمون على انه لايصدر الا من كافر عد من ذلك قوله «أو يلقي ورقة فيها شيء من قرآن أو علم شرعي أو فيها اسم الله تعالى بل أو اسم نبي اوملك في نجاسة قال بعضهم أو قذر طاهر» الخ ثم قال فيما سرده من أعمال الردة «أوتشبه بالعلماء او الوعاظ أو المعلمين على هيئة مزرية بحضرة جماعة حتى يضحكوا أو يلعب استخفافاً أو قال قصعة ثريد خير من العلم استخفافاً أيضاً» ويشترطون في كون هذه الاعمال كفرا ان لاتدل قرينة على عذر صاحبها أو تأوله لاخلاف بينهم في هذا •

والتحقيق ان الكفر هو انكار شيء مما علم من الدين بالضرورة وكان مجمعاً عليه ومنه تكذيب شيء من الدين يعتقد المكذب له أنه مما جاء به الشارع أو اعتقاد قبحه وبطلانه لان كل ذلك تخطئة للرسول فيما جاء به عن الله تعالى • وماذكر الفقهاء من المكفرات غير ذلك فهو في رأيهم يرجع اليه لانه دليل عليه أو لازم له أو ملزوم ولذلك رد بعضهم [illegible] لاسيما ما كان كفرا باللزوم وقد قالوا «إن لازم المذهب ليس بمذهب» واتفقوا على ان الفتوى بمنع التكفير قالوا اذا أتى إنسان بشيء عدوه كفرا وردة فذكر ان له تأويلا يتفق مع اعتقاده بأن جميع ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم من أمر الدين حق امتنع الحكم بردته وقالوا اذا وجد مئة دليل أوقول على كفر أحد وقام دليل أو قول واحد على عدم كفره يعمل بالواحد لانه يجب درء الحدود بالشبهات والتباعد عن التكفير ما أمكن • ولكن هذا لايمنع من تشديد التعزير على من كانت الشبهة على كفره أقوى لاسيما اذا كانت أقواله أوأعماله المشتبه في كونها كفرا مما يفتن العامة ويضر بالناس والله أعلم

مصرف الهدايا والنذور لاضرحة الاولياء

(س١٦) السيد عوض جمان سعيدان في (سنغافوره) : أرجو من سيادتكم الإفادة عما يأتي ولكم من الله الفضل • سيدي من المشهور ان عند قبور بعض الاولياء صناديق حديد يضع فيهن من يريد قضاء حاجته شيئاً من الدراهم وعندنا كثير من هذه القبور خصوصاً في جهة (جاوا) وتوجد تلك الصناديق عند نهاية الشهر

ملآنة بالدراهم ينفق منها القائمون بحراستها ما يقوم بنفقة المقام والباقي يصرف على ورثة الولي ان كان له قرابة وقد التمس مني أحد الاخوان بالحاح أن أعرض على سيادتكم هذا السؤال راجياً نشره في أحد أعداد المنار والجواب عليه بما يمكن العمل به وهو هل يجوز للورثة أخذ تلك الدراهم مع العلم بأن طالب الحاجة لا يقصد تقديم تلك الدراهم للورثة أو غيرهم بل يقصد بها ان تكون لذلك الولي فقط أفيدونا لا زلتم مؤيدين وبعين العناية ملحوظين :

(ج) الميت لا يملك فيكون ملكه لورثته فاذا كانت الحال كما ذكرتم في السؤال فلا يجوز لقرابة صاحب الضريح أكل ما يلقى في الصندوق من المال لا بعد الانفاق على القبر ولا قبله . وكذلك لا يجوز الانفاق منه فيما جرت به العادة من إيقاد السرج والشموع على قبر الولي والمسجد الذي يبنى عليه لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عن ذلك ولعن فاعله وقد عد العلماء اللعنة علامة على أن الذنب من الكبائر ومنها حديث ابن عباس قال « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وفي إسناده أبو صالح باذام او باذان تكلم فيه . وما قاله ابن عباس تشهد له الاحاديث الصحيحة سواء سمع منه أبو صالح أم لا ففي حديث الصحيحين « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي رواية لعن بدل قاتل وقد فسرت هذه بتلك وفي حديث مسلم ان النبي قال ذلك في مرض موته وزاد « فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وفي رواية في الصحيحين « أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فات بنوا على قبره مسجداً » الخ ومنها حديث جابر عن أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي وصححه والنسائي قال « نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وان يقعد عليه وان يبنى عليه » وفي رواية اخرى « وأن يكتب عليه » وقد ذكرنا من قبل هذه الاحاديث وغيرها فمن شاء فليراجعه أو ليراجع ما كتبه ابن حجر في بيان الكبيرة الثالثة و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ والتسعين من الزواجر فانه بحث في كفر الذين يعظمون قبور الصالحين تعظيما يشبه العبادة كما هو المعروف في زماننا

أما الاموال التي يلقيها الجاهلون في تلك الصناديق توهماً أنهم يستميلون بها أصحاب

القبور لتقضى حاجاتهم بواسطتهم فهي لاتخرج عن ملكهم وكان يجب على من حضرهم أن ينهاهم عن وضعها ويبين لهم حكم الله في ذلك ولكن من يحضرونها هم الذين يأكلونها بالباطل ويشركون فيها من يشركون. وقاعدة الفقهاء في الاموال التي لا يعرف لها مالك ان ترصد لمصالح المسلمين العامة ومن للمسلمين بمن يقوم بمصالحهم العامة وليس لهم حكومة اسلامية تلتزم الشرع وتقيمه في كل أعمالها وأحكامها وليس لهم زعماء وسراة يرجعون الى رأيهم وارشادهم فحسبنا الله وإياه نسأل أن يهيء لنا من يقوم بأمر ديننا قبل ان نكون من الهالكين اليؤس منهم

تلقين الميت واين يجلس الملقن

(س١٧) الحاج وان أحمد ق (سنغافوره) : ماقول أئمتنا الشافعية فيما يأتي: هل يسن للملقن أن يجلس قدام وجه الميت أو فوق رأسه أو وراءه أو يفرق بين كون الميت رجلا أوامرأة

(ج) هذه المسألة لا يوجد فيها ... القياس والاخبار والآثار الواردة فيها ضعيفة ولكن قد استحب أصحاب الشافعي الاخذ بها . والوارد أن يقف الملقن عند الرأس . أخرج الطبراني في الكبير وعبد العزيز الحنبلي في الشافي وابن منده في كتاب الروح وابن عساكر والديلمي عن سعيد بن عبد الله الازدي عن أبي أمامة قال (وفي رواية شهدت أبا امامة وهو في النزع فقال ياسعيد) : اذا أنامت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اصنع بموتانا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اذا مات أحد من اخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره فليقل يافلان بن فلانة فانه يسمعه ولا يجيب ثم ليقل يافلان بن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يافلان بن فلانة الثالثة فانه يقول : ارشدنا يرحمك الله ولكن لاتشعرون : فليقل اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لااله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن اماما : فان منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا مايقعدنا عند من لقن حجته » وفي لفظ ويكون الله حجيجه دونهما » فقال رجل يارسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال « فلينسبه الى حواء » قال الحافظ ابن

حجر في التلخيص واسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه . ولكنهم تكلموا في سعيد راويه وفي اسناده عاصم بن عبدالله وهو ضعيف وقال الهيثمي في اسناده جماعة لم أعرفهم . وأخرجه ابن منده بلفظ آخر ورووا آثارا بمعناه لامحل لذكرها هنا وانما المقصود بيان أن الرواية صريحة في أن الملقن يقوم عند رأس القبر . وقد ورد في أحاديث القيام عند القبر للدعاء بالتثبيت انه يستحب أن يقف مستقبلا وجه الميت . ولا وجه لقياس الوقوف للتلقين أو الدعاء على الوقوف للصلاة قبل الدفن اذ فرقوا فيه بين الذكر والانثى لمكان النص ولوجود الفرق والله اعلم

رش القبر بالماء

(س ١٨) ومنه : رش القبر بالماء مستحب هل هو عام لكل وقت أم خاص ببعد الدفن

(ج) ذكروا رش القبر بالماء في أحكام الدفن وعللوه بما عللوا به وضع الحصباء عليه وهو أن لاتذهب الرياح بالتراب وهو دليل على ان المراد رشه بعد الدفن وعليه العمل والاصل فيه مارواه الشافعي عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رش على قبر ابنه إبراهيم ماء ووضع عليه حصباء وروى البيهقي أن بلال بن رباح رش قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالماء وفي إسناده الواقدي تكلموا فيه

شعر الرأس — حلقه أو تركه

(س ١٩) ومنه : تبقية الشعر في الرأس سنة ومنكرها مع علمه يجب تأديبه كما في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية فهل لها كيفية مخصوصة أم لا

(ج) إن ارسال الشعر وحلقه من العادات لامن العبادات الا ما يكون في النسك من الحلق أو التقصير ثم انه لم يثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم حلق في غير النسك وكذلك الصحابة كانوا يرسلون شعورهم وكان ذلك من عادتهم ولم يكونوا يعدونه ديناً ويعجبني قول الغزالي في الاحياء . ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله الا إذا تركه قزعاً أي قطعاً وهو دأب أهل الشطارة أو ارسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعاراً لهم فانه اذا لم يكن شريفاً كان ذلك تلبيساً » اه وهو يريد أن المؤدب بآداب الدين لاينبغي أن يتشبه

بالسفهاء كأهل الشطارة ولا بمن يلزم من تشبه بهم تلبيس على الناس وغش لهم • وانما صرح العلماء بكراهة حلق الرأس وكونه مخالفاً للسنة لأنه كان في الصدر الاول شعار الخوارج فاذا أخذنا باطلاقهم كان اللوم في ترك هذه السنة موجهاً في هذا العصر الى علماء الدين فانهم يحلقون بل ينكرون على من لم يحلق وهم مخطئون

ثم ان من أرسل شعره بنية الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في عاداته الشريفة كان ذلك مزيد كمال في دينه اذا كان مقتديا بسنته الدينية ومتحريا التخلق بأخلاقه الكريمة وقد ورد في أحاديث الشمائل ان شعره كان إلى أنصاف اذنيه وكان لايجاوز شحمة اذنيه غالباً وقد يصل الى منكبيه وقد سدل ثم فرق فأما السدل فهو أن يرسل الشخص شعره من ورائه وعلى جبينه أي يتركه على طبيعته وأما الفرق فهو أن يجعله الى جانبيه وزعم بعض العلماء ان السدل نسخ بالفرق ولا تقوم له حجة •

وقد جرى أكثر الافرنج وبعض المتفرنجين في هذا العصر على سنة ارسال الشعر وفرقه أرأيت اذا فعل ذلك شيخ الازهر او بعض شيوخه المشهورين ، الا يعد هذا عند العامة وبعض من يعدونهم من الخاصة خرقا لسياج الدين ؟ بلى ان حكم العادات نافذ في العلماء والجهلاء وهو كثيراً مايزيد فى الدين ماليس منه في شيء وينقص منه ماهو من سننه التي لاخلاف فيها ولا تبعد فى طلب المثال فهو بين يديك وفى أسئلتك وما قبلها • فمشايخ الازهر يقرءون فى كتب الحديث نهي الشارع عن بناء القبور واتخاذ المساجد عليها واتخاذها اعيادا وتعظيمها ثم انهم يشاركون العامة فى هذه الاعياد التي يسمونها موالد على مافيها من المنكرات التي نهى عنها أئمتهم فى الفقه • ثم انهم يقرءون في شمائل نبيهم انه كان يسدل شعره الشريف ويفرقه وهم ينكرون على من يفعل ذلك من اهل العلم والدين وقد أمرني بذلك بعضهم وكان شيخاً للازهر قائلا انك من اهل العلم لايليق بك ان ترسل شعرك فاحلقه فحججته بالسنة فحاجني بأن ذلك شعار العامة الآن

صلاة الظهر بعد الجمعة والخلاف فى الدين

(س ٥٢) ومنه : هل يجوز لاحد أن ينهى أهل بلدتنا (سنغافوره) وأشباهها كما حدث الآن عن اعادة الظهر بعد الجمعة ام لايجوز لانهم يعتقدون أنها سنة متمسكين

يقول العلامة ابن حجر الهيثمي في الجمعة من الايعاب بعد كلام قرره فيه : وعلى كل فالاحتياط لمن صلى جمعة ببلد تعددت فيه لحاجة ولم يعلم سبق جمعته فالكل ان يعيدوها ظهرا خروجا من هذا الخلاف : الخ ولانها اي النهي يوقعهم في محظورات منها وقوعهم في اعراض اهل العلم الذين امروهم باعادتها واعادوها بأنفسهم في تلك البلدة وغيبتهم كبيرة بالاجماع ومنها مفاسد أخر كالنزاع والشقاق المتولد بين اهل تلك البلدة بسبب الطعن في علمائهم المتقدمين وغير ذلك فيكون هذا الرجل سببا لذلك نعوذ بالله من غضبه

(ج) تعلمون ان الخلاف واقع بين علماء الشافعية بعضهم مع بعض وبين علماء سائر المذاهب كما وقع بين الائمة ومن فوق الائمة من علماء الصحابة رضي الله عن الجميع ولاشك ان كل من ذهب الى شيء فهو يرى مخالفه فيه مخطئا ومن كان غير معصوم فهو عرضة للخطأ وقد نقل عن الصحابة والائمة انهم أخطأوا في مسائل ثم ظهر لهم الصواب فرجعوا اليه ومنها ماهو اهم في الدين من اعادة الظهر بعد الجمعة احتياطا او غير احتياط فاذا كان هذا سببا للوقوع في اعراضهم فمن يسلم لنا . قالوا ان ابن عباس رجع في آخر حياته عن القول بجواز المتعة فهل كان هذا سببا للوقوع في عرضه ممن كانوا سمعوا منه الفتوى بالجواز وعملوا بها ؟ هل كان اهل العراق يقعون في عرض الامام الشافعي لانه رجع عن مذهبه القديم بعدما عاد الى مصر . كلا ان هذا من عمل السفهاء وما كان لاهل العلم ان يحفلوا بقدح هؤلاء السفهاء ولا بمدحهم فيتركوا بيان العلم والدين لاجلهم وهذه سنة الله تعالى في اهل البغي والشقاق يظهر تفرقهم وخلافهم بعد ظهور الحق « وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم »(س٤٢) « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة » (٩٨) « وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه »(٢) فعلى المؤمن بل من خواص المؤمن أن يأخذ بالحق متى ظهر له ورشد اليه متى عرفه لا يخاف فيه لومة لائم ولا خوض آثم واذا كان قد سبق له عمل بخلافه عن خطأ في الاجتهاد فهو مثاب على نيته وان كان قد أمره بذلك عالم فذلك العالم أيضاً مثاب ان كان قد تحرى الحق بقدر طاقته وهو يستحق الدعاء والثناء لا السب والطعن

واذا حاسب السائل نفسه ورجع الى وجدانه يتبين له ان الذي أكبر هذه المسألة

في نفسه وفي نفوس الكثيرين من أهل سنغافوره وجاوه هو تعودهم صلاة الظهر بعد الجمعة فلاصن من قبيل حكم سلطان العادة الذي ذكرناه في جواب السؤال السابق والاقلو كان المسلمون يهتمون فى هذا الاهتمام بكل مسألة حتى ماقال بعض الفقهاء المتأخرين انها من الاحتياط لكان اهتمامهم بما أجمعت عليه الامة من المحرمات والمكروهات والواجبات والمندوبات أعظم وأشد وأين هم من ذلك ؟ فو الذي أحيا سلفهم باتباع الحق حيث كان والاعتصام به بقدر الامكان ، وأماتهم بابتداع البدع ، والتفرق في الدين الى شيع . لو أنهم كانوا يعملون بما أجمعت عليه الامة لكانوا في هذا العالم هم السادة الأئمة ، ولكانت الامم التي أزالت ملكهم وورثت عزهم ، تابعة لهم خاضعة لامرهم « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم » الآية

هذا هو رأينا فى الخلاف في هذه المسألة الاحتياطية التي كبرت عند بعض أهل سنغافوره وجاوه حتى عدها بعض أهل الهوى والجهل منهم فتنة من فتن المنار الذي يبين حكم الله فيها اذ كتب واستفتى وكان منهم الاستاذ من أصحاب الجرائد الذين لا يصلون ظهرا ولا عصرا ولا يفهمون كتابا ولا سنة يستفتحون بهم على المنار ويطلبون منهم الرد عليه او تحريض العلماء على ذلك والمنار يطلب في كل عام غير مرة من كل عالم يرى فيه شيئاً مخالفاً للكتاب والسنة ان يكتب به اليه . وقد زعم الكاتبان ان المنار هو الذي فرق بين الناس فى الدين وجرأهم على سب الائمة والسلف والمنار هو الداعي لإزالة الخلاف بالاعتصام بالكتاب والسنة والاقتداء بالسلف ولا نعرف داعياً الى ذلك بالقول والكتابة والنشر غيره ففي اي جزء وفى اية صحيفة منه تكلم فى السلف والائمة ؟ ؟ ان هذا الا اختلاق ، يعرف منه ان المشاغبين فى مسألة صلاة الظهر بعد الجمعة لا يتبعون الا الهوى فان الكذب والبهتان والغيبة لا سيما لخدمة الدين واهل البيت النبوي من أكبر المحرمات باجماع المسلمين واما صلاة الظهر بعد الجمعة فهي مسألة خلافية بينا الحق فيها من قبل . فهل من الاحتياط الذي قاله ابن حجر ان يكذبوا ويغتابوا ويخوضوا في اعراض العلماء ويلصقوا ذلك بغيرهم

قد أطلت القول في هذه المسألة لان الناس قد اهتموا بها عندكم أكثر مما تستحق وهؤلاء اهل مصر اكثرهم شافعية ولم يهتموا الماضي هذا الاهتمام وهذه سنة الله في الخلق يهتم الناس

على قدر جهلهم بالامور التي لايترتب عليها نفع ولا ضرر ويتركون عظائم الامور لايبالون بها . أرأيت أيها الاخ السائل ايهم قومك بالانكار على تارك الصلاة ومانع الزكاة كما يهتمون بمن يصلى الظهر بعد الجمعة احتياطاً ويتركها لاعتقاده انه لم يكلف بها وفاقاً لاكثر المسلمين ؟ اذا كان هؤلاء قد تركوا كل ماحرمه وكرهه الدين وقاموا بكل ماقدروا عليه من أحكام الدين فرائضه وسننه وآدابه لاتسعهم ولا منهم فلهم الحق في الاهتمام بهذه المسئلة واني أعتقد حينئذ انهم يكونون سعداء مرضيين عند الله سواء صلوا الظهر بعد الجمعة أم لم يصلوها وان كانوا قد قصروا في شيء من الفرائض والدين اشاق عليها أو يرتكبون شيئاً من المحرمات التي لاخلاف فيها فزعمهم الاهتمام والعناية بالدين لاجل مسألة خلافية لم يقل بها الا الاقلون من المسلمين زعم باطل لاسبب له الا التمسك بالعادة والتعصب على المخالف بغيا وانتصارا للنفس . والخلاصة أن من اعتقد ان شيئا غير مشروع فعليه أو فله ان يبينه للناس غير مبال بلغط اللاغطين . واختلاف الجاهلين . والله ولي المتقين .

اما سؤالكم في سماع الدعوى في بعض الزمن فليس من موضوع المنار البحث في الاحكام القضائية غير الدينية وظاهر ان الدعوى لاتسمع ممن سكت عنها المدة التي حددها الامام أو نائبه

آثار علمية أدبية

التقريظ

الشريعة الاسلامية ــ والقوانين الوضعية

رسالة لعلي بك أبي الفتوح من علماء القوانين العاملين بها في نيابة محكمة الاستئناف بمصر ابتدأها بقوله : « لا يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادي المقررة في الشريعة الغراء لاتوافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الانسان من التمدن والترقي درجة رفيعة ويتوهمون أن الاحكام والروابط الموجودة في القوانين الحديثة الوضعية لامقابل لها في الاصول الاسلامية وانما هي بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التي أتى بها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد ولكن الباحث في الفقه الاسلامي ولو قليلا

لايلبث أن يدبرهذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا وصلوا فى الرقاهية وتقرير المبادىء العمرانية والاجتماعية والقضائية شأواقلما يجاريهم فيه أحد الآن صعوبة كتب المتأخرين وكيفية تأليفها وما هي عليه من التعقيد قد أوصدت الباب في وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الغراء غير المنقطعين لدراستها ولذلك فاني أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد التآليف القديمة لأنها أسهل موردا وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد وبعدها عن المشاغبات اللفظية وليترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها بدون ملل ولا حساب الوقت

« اذكر هذا على أثر مطالعتي لكتاب الخراج للامام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هجرية وقد ألف هذا السفر الجليل برسم أمير المؤمنين هارون الرشيد وفيه من النصائح والاحكام ما يجدر بامراء المسلمين اتباعه والعمل به . عثرت فى هذا المؤلف الصغير الحجم على درر كثيرة لا أجل بنظمها فى هذه المقالة حتى يرى المسلمون وخصوصا المشتغلون منهم بالقوانين الافرنجية ان المتقدم لم يترك شيئا للمتأخر ولعلهم يكبون على دراسة الشريعة والآداب الاسلامية لأنهما لا ينافيان العصر الحاضر ولا المدنية الحديثة اذا فهما حق الفهم ودرسا بعقل وتمييز

« وما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الاكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والاحكام أكثر احتراما في النفوس وأكثر موافقة لأخلاق وعوائد من وضعت لهم » اه

ثم ذكر مسائل من كتاب الخراج وذكر ما ورد بمعناها في القوانين الحديثة واستخرج العبر منها وقال ان أهل القوانين يظنون ان هذه المسائل من أوضاع علماء اوربا المتأخرين فهذه الرسالة مفيدة للمتعلمين فى المدارس النظامية بمصر واوربا الذين لم يتلقوا شيئاً من علوم الشريعة فهم يعطونها للجهل وهذا الذى ذكره قليل من كثير، ونقطة من بحر كبير . ومفيدة لعلماء الازهر وامثالهم من المتعلمين على طريقتهم ــ ان كانوا يقرءون ويعتبرون ــ بما تبين لهم من سوء أثر هذه الكتب المتأخرة التي اختاروها للتدريس وأثر طريقة التعليم المتمججة التي يتعسفون فيها فان ذلك أقوى أسباب بعد المسلمين عن دينهم وشريعتهم

أما تعجب الكاتب من جدارة الحكومات الاسلامية بأخذ قوانينها وأحكامها من الشريعة الغراء فيقال فيه انه لو كان فى الدنيا حكومات اسلامية لما كان لهم معدل عن الشريعة وهل من معنى لكون الحكومة اسلامية الا كون تشكيلها وأحكامها على حسب الشريعة • وهل توصف بالاسلامية الحكومة الاستبدادية الشخصية التي يخشها أو يرثها رجل يفعل فيها مايشاء ويحكم مايريد لايتقيد من شريعة الاسلام بشيء الا مالايرى بدا منه في اخضاع العامة لسلطته أو مايراه موافقا لمصلحته ؟ هذه مجلة الاحكام العدلية التي ألفتها لجنة من علماء المسلمين هي أحسن من القانون المدني الفرنسي وقد أمر السلطان العثماني بالعمل بها عند ماأسس نظام العدلية، وأبطل به الامتيازات الاجنبية، فلماذا لم تتبعه الحكومة الخديوية، بل اختارت على أحكام الشريعة الاسلامية قانون الحكومة الفرنسوية ؟ كان يعرف السبب في ذلك وهو طمع اسماعيل باشا بالاستقلال والانفصال عن الدولة بمساعدة أوربا التي يتزلف اليها باتباع خطوات مدنيتها فانظر ماذا حل به وباستقلاله • والرسالة قد طبعت فتحث القراء [illegible]



﴿ شرح التلخيص وطريق البلاغة وكتبها ﴾

ساءت طرق التعليم في المدارس الاسلامية بعد ضعف العلم بضعف الامة وساء اختيار المعلمين للكتب فصارت العلوم فى المسلمين رسوماً منها الدارس ومنها الماثل • ثم تلاشى من العلوم مالا يقوم بالرسم، لانه أشبه بالروح منه بالجسم • كعلم البلاغة الذي هو ذوق معنوي ، وشعور روحاني ، تطبع بملكته النفس ، ثم يظهر أثره فى الحس ، وهذه الكتب التي اختارها المتأخرون هي شروح لمتون جمعت مذكرة لاصول المسائل ومهمات القواعد فكانت مناقشات فى ألفاظها، واستنباطات من عباراتها تقطع على من ابتلي بها طريق التحصيل ، وتضله عن سواء السبيل ، وأشهر هذه المتون متن التلخيص للشيخ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب بدمشق الذي اختصر به كتاب المفتاح لابي يعقوب يوسف السكاكي • وقد كان البلغاء المتقدمون الذين انتهت اليهم البلاغة والقدرة على البيان يأتون البلاغة من بابها بما يزاولون من قراءة الكلام البليغ وتفهم معانيه، والتفطن لاساليبه ومناحيه، حتى اذا ماأحس الامام عبد القاهر بضعف عناية الناس بفهم الكلام البليغ ورأى النفوس منصرفة الى العناية بزخرف

اللفظ وإن عجز عن أداء المعنى المراد وقصر عن التأثير المطلوب فوضع كتابيه (أسرار البلاغة) في البيان و (دلائل الإعجاز) في المعاني ليصرف الناس عن المجاهل التي تعسفوا فيها، ويهديهم الى الطريق التي ضلوها، ولكن جاء بعده السكاكي فاقتبس من كتابيه القواعد والاحكام التي وضعها لاقناع الجاهلين، وتسهيل الغوص على الدرر للغواصين، فجعل الفن رسماً محدوداً واصطلاحات نظرية حظ الذهن منها بالتصور والتصوير، أكبر من حظ النفس بالتأثر والتأثير. ثم اختصر الخطيب بتلخيصه ما كتبه السكاكي فكان كتابه أوغل في الرسم والاصطلاح، وأبعد عن النفوذ الى مواقع التأثر والتأثير من الارواح، وجاء بعد ذلك سعد الدين التفتازاني الذي صرف كل ذكائه في ممارسة العلوم النظرية من المنطق والجدل والمناظرة والفلسفة والكلام فشرح (التلخيص) على طريقته في العلوم النظرية، فخرج بذلك علم البلاغة عن موضوعه بالكلية، وابتليت كتب السعد بأناس وضعوا عليها حواشي للبحث في ألفاظها وأساليبها دون البحث في أساليب الكلام البليغ المأثور فسارت هذه الكتب عثرات أو عواثير في طريق البلاغة بل صرفت الناس عنها وحالت بينهم وبينها.

مرت قرون على المسلمين وهم يتسكعون في ليل من الجهل بهيم حتى اذا الليل عسعس، وكاد الصبح ان يتنفس، هدى الله أناساً الى ان يقبسوا الاقتباس من مقبسها، ويجتنوا البلاغة من مغرسها، وما عتم ان استبان للازهريين المقصد، وظهر فيهم الامام المرشد، ثم طبع الكتابان الجليلان، (أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز) وقرأهما في الازهر الاستاذ الامام، فحاول تلامذته الجمع بين العلم والعمل، وظهر فيهم من فاقوا شيوخهم الآخرين في بلاغة اللسان والقلم، فكتبوا المقالات والرسائل الادبية، وتعلقت آمال بعضهم بتأليف الكتب العلمية، وهذا كتاب شرح التلخيص لواحد منهم وهو الشيخ عبد الرحمن البرقوقي

جرى هذا الشارح في شرحه على أن يبين المراد من الجملة ويدعمها بشيء مما يتصل جنة المعاني على جنة المباحث اللفظية التي اعتادها اهل الأزهر مستمداً ذلك من اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز اللذين هما عمدته وعتاده وفي هذا من جذب طلاب الأزهر الذين لم يحضروا الكتابين على الاستاذ الامام الى جانب البلاغة الحقيقية

مايرجى معه ان يكون الشرح سلما لهم يرتقون به الى مطالعة الكتابين ، ويهتدون به الى خير التجديد ، وهو مايطبع البلاغة في النفس ، ويظهر أثرها في عالم الحس ، على أنه يكون عونا لهم على فهم شرح السعد الذي تقضي عليهم بتلقيه ، وأداء الامتحان فيه ،

ومما ينتقد على الشارح انه يأخذ الكلام من أحد الكتابين (اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز) فيسنده الى نفسه وان كان طويلا لاتصرف له فيه وتارة يتصرف فيه تصرفاً يسيراً لايكون عذراله أن يترك عزوه الى ابي عذره كما فعل بالفصل الذي عقده عبدالقاهر في اسرار البلاغة لبيان مواقع التمثيل وتأثيره في النفوس فانه أخذ صفحات من صدر الفصل ووضعها في أول باب التشبيه متصرفا في جمل من أولها نقلها من صيغة الماضي الى صيغة المضارع كأن حق المصنف فيها مضى وانقضى وصارت في مستقبلها الى مالك آخر قال في ص٢٢٧

« اعلم ان التشبيه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وأن تعقيب المعاني به لاسيما قسم التمثيل منه يكسبها (١) أبهة ويكسبها منقبة ويرفع من اقدارها ، ويشب من نارها ، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها ويدعو القلوب اليها ، ويستثير لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا ، ويقسر الطباع على ان تعطيها محبة وشغفا ، فان كان مدحا كان ابهى وافخم » الخ مالاتصرف فيه وعبارة أسرار البلاغة هكذا (ص ٨٦)

« واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه ان التمثيل اذا جاء في اعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الاصلية الى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا ، وقسر الطباع على ان تعطيها محبة وشغفا ، فان كان مدحا كان ابهى وأفخم » الخ ومالاتصرف فيه

وبعد ان نقل بالحرف مواقع التمثيل وتأثيره في كل موقع وانشأ ينقل الامثلة تصرف فيها وفي الكلام عليها بعض التصرف وكان غنيا عن ذلك كله

وقد وضع للشرح مقدمة تكلم فيها عن الفصاحة والبلاغة وعن المؤلفين في فن البيان وألمّ بما يشترط له من علم العربية ولكن هذه المقدمة كلها او جلها مأخوذة من

(١) يقال كساه الثوب يكسوه واوي ويقال كسي زيد كرضي فهو كاس ولم ينقل كسبه

من كلام عبد القاهر وغيره وما كان ينبغي للمؤلف أن يتجاوز في مقدمة كتاب له أخذ الجملة والجملتين على سبيل التضمين ، وأكثر ما أخذه قد سلخه بلفظه ومعناه فتلك تحيد قوله (في ص ٧) « أما النحو فهو معيار » الى حل بعده كلام من (ص ٢٣ و ٢٤) من دلائل الاعجاز ولا تذكر ما قاله في ص ٨ من التمثيل بالآية وكونه من ص ٢٦ من دلائل الاعجاز ايضاً فانه ليس من روائع الكلام التي تلك ألفاظها ولكن قوله في ص ١٣ في عبد القاهر « وارهف عليهم لساناً أخرس الشقاشق ، واعدم نطق الناطق ، وأسال الوادي عليهم مجزاً ، وأخذ منافذ القول عليهم أخذاً » مأخوذ من قول عبد القاهر في ص ٧ من المدخل الذي هو مقدمة دلائل الاعجاز فقد وصفه بكلامه فلم تكن السرقة لاجل أجنبي . ومعظم ص ١٤ و ١٥ مأخوذ من ص ٦١ و٦٢ من دلائل الاعجاز ولكن فيه شبهة عزو لانه يحكي عن رأي عبد القاهر

وقوله في آخر ص ١٥ ونحو ثلثي ص ١٦ مأخوذ من ص ٦٦ من دلائل الاعجاز وقوله عقبها : وزبدة القول : الى نحو ثلث ص ١٧ مأخوذ من ص ٣٤ و٣٥ من دلائل الاعجاز وما بعدها ماخوذ من ص ٣٧ منه . والكلام على الآية في ص ١٨ ماخوذ من ص ٣٦ من دلائل الاعجاز . والكلام على بيت ابن المعتز في ص ١٩ ماخوذ من ص ٧٤ منه

وقوله في ص ٥٧ « لكن لابد للمرء قبل ذلك أن يحظى برس من اللغة ويصيب ذروا من النحو » فهو ماخوذ من فاتحة أساس البلاغة للزمخشري بتصرف . وقوله في ص ٣ « لا يقوم بفصاحته لسان ولا يطالع فجه إنسان » هو من كلام الشريف الرضي في وصف كلام لامير المؤمنين لما بويع بالمدينة . ومثله قوله في هذه الصفحة ايضاً « وقبع في كسر بيته لا يرى الا نفسه ، ولا يسمع الا حسه ، » فهو من فاتحة نهج البلاغة للشريف وقوله فيما قبل العبارتين « كتب في هذا الفن قبل الامام عبد القاهر » الخ ماخوذ من مقدمتنا لاسرار البلاغة . وكذلك قوله في ص ٤ « وهو وان فاق عبد القاهر في التقسيم والتبويب » الخ ماقاله في السكاكي فهو منها بالمعنى لا بالنص

هذا وانا نرى ان هـذا الشرح مفيد لطلاب علم البلاغة لاسيما الازهريين منهم فانهم لايجدون ما يغنيهم عنه . ولا يحسبن أحد ان ذلك الاخذ الذي نبهنا عليه يخل

من فائدته أو يدل على ضعف مؤلفه ، كلا ان الشيخ عبد الرحمن من أحسن نابتة الازهر تحصيلا وفهما وكتابة يدل على ذلك حسن تأليفه لما أخذه وربط بعضه ببعض وحسبه ان يختار الجيد النافع وانما كان من الكمال في العمل ومن الامانة في العلم ان يأخذ المعاني ويستقل بالعبارة حتى اذا احتاج أخذ شيء بنصه عزاه الى صاحبه ، ولكن لو كانت العبارة كلها له لكان الكتاب أقل فائدة اذ لم يصل الى درجة عبد القاهر في التحرير والتحبير ، ولعل الذي سهل عليه ترك العزو هو اعتقاده بان أكثر المؤلفين المتأخرين ليس لهم الا جمع الاقوال وتنسيقها فاذا كان منهم من جمع الشاغبات الضارة فهو قد جمع الفرائد النافعة ، والكتاب مطبوع طبعا جيلا وقد جعل ثمنه أربعة قروش صحيحة وهي قليلة جدا بالاضافة الى ما انفق عليه بصرف النظر عما يستفاد منه

باب الأخبار والآراء

﴿ رأي رجل عظيم في التلميذ والتلمذ ونزاهة الاستاذ الامام للأزهر ﴾

كتب الينا الكتاب الآتي أحد أعلام الامة الاسلامية ، وأركان نهضتها العصرية ، ناظم مدرسة العلوم «الكلية» ومدير جريدتها (علي كده انستيوت) الشهيرة ، وصاحب المصنفات الكثيرة ، محسن الملك بهادر سيد مهدي علي خان ، فنشرناه ووصلناه رأينا فيه ، قال حفظه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

غب اهداء سلام ألذ من تغاريد الحمام ، وأصفى من قطر الغمام ، وأحلى من صفو المدام ، واشهى من انفاس الرياض إذ هطل عليها الغمام ، واعبق من روائح المسك الختام ، وأبرق من البدر التمام ، واشرق من الشمس إذ ينقشع عنها الظلام ، أخص به حضرة المولى العلامة النحرير ، والعلامة القرم الكبير ، مولانا الشيخ رشيد رضا لم تزل الاقدار تعضده في كل حال ، وتصعده للظفر بالأماني والآمال ، ماطلع آل وتكررت الغدو والآصال ،

(وبعد) فقد عرفت بلا ريب ما قد أصاب المسلمين من الشرور والفتن ، والدواهي والمحن ، وأن الاسلام قد ادبر وآذن بوداع ، وأن النفاق قد أقبل واشرف باطلاع ، وان الدين قد استتر وتنكر بوجهه ، وتولى بركنه ، ونأى بجانبه ، وتطرقت البدع المحدثة ، وتسربت الاحداث المستحدثة ، ورفعت الامانة من المسلمين ، وكشفت الديانة عن المؤمنين ، وبدت الخيانة في حزب سيد المرسلين . قد أعتم بنا عاتم الفتن ، وجللنا حنادس المحن . وغشيتنا غياهب الاحن ، وتسربلنا بسرابيل العدم والاملاق ، وتقمصنا بقمص الجهل والنفاق ، وطحنتنا الجهالة بكلكلة البلى ، وعركتنا الجهل فسوانا بتخوم الثرى ، لاننكر من الشر نكراً ، ولا نعرف من الخير امراً ، سلب منا الاخاء ، وبدت فينا العداوة والبغضاء ، وسرت فينا الجهالة العمياء ، فضربت بذلك علينا المتربة ، وحاقت بنا المسغبة ، وجللتنا المسكنة ، لانكترث بما صارت اليه حالنا ، ولانحفل بما تحولت اليه أحوالنا ، ولا نبالي بما خابت منه آمالنا ، قوضت عنا خيام المجد والاعتلاء ، واسترحلت بنا رواحل القل والذل ، وتحولنا عباديد بعد الألفة ، وتباديد بعد اجتماع الكلمة ، وتركزت فينا أصول الفرقة ، وتشتت الشمل وتفرق ، وتمزقنا كل ممزق ، يزري بنا العيون ، ويزدرينا ريب المنون ، رحل الاسلام عن عقر داره ، وتربع النفاق في محله وقراره ، ومن ثم ترى الاجتماع قد تهدمت مبانيه ، وتبصر الائتلاف قد خوت مرابعه ومغانيه ، وتدكدكت من الاتفاق القنان ، وانهدمت منه الصدان ، (١) وتصرمت أيامه ولياليه ، واستبدلت بالانخفاض معالمه وعواليه ، ومالت والصغار قصوره ومعاليه ، خمدت منه كل نار ، وانفل منه كل غرار ، وعفت منه كل دار ، وطمست منه الآثار ، وعطل كل فلك عن المدار ، وكورت شمس علائه ، وخسف منه بدر سمائه ، وأرجفت منه أرضه الأريضة ، واغبرت صفحتها فأضحت مريضة ، ولم يبق من الاسلام إلا رسم خلق في المقام ، ضمنه كاضمن الوحي السلام . (٢)

---

(١) المنار : القنان بالكسر جمع قنة بالضم وهي الجبل الصغير والاكمة ، والصدان بالضم جمع صاد بالفتح ، وهو أعلى الجبل والهضبة العالية الحمراء .

(٢) المنار : قوله رسم خلق بالتحريك أي بال . وقوله ضمنه الخ السلام بالكسر فيه يعني الحجارة ومن امثالهم « اكتم قسر من السلام » ومنها وحي في حجر يضرب

يسومنا الاقوام خسفاً من كل جانب ، ويستصغرنا الرجال صغاراً على ظهر كل لاحب ، لم يستبق الدهر لنا قوة ولا دولة ، ولم يرض لنا إمرة ولا صولة .

وقد كان يعجبني منكم بين تلك الاحوال المزعجة ، ويروقني من جنابكم في تلك الحالات الموجعة المفجعة ، ما حباكم الله سبحانه بفضله ، واصطفاكم ببره ، لاستفراغ الوسع في اصلاح المسلمين ، والاجتهاد البالغ التام في حضهم على النهضة لامور الدنيا والدين ، وذلك بما كنتم تنشرون من إمضاآت بليغة ، وتنشئون من رسالات بديعة أنيقة ، ومكاتبات بهية شهية رشيقة ، تحضون بها المسلمين على النهضة ، وتحثونهم على الأوبة ، إلى ما كانوا عليه من سالف المجد والاعتلاء ، وماضي الكرم والعلياء ، وسابق السبق في مضمار العز والعلاء ، والاقتحام في مفاوز الكرب والبلاء ، والاهتمام في استجلاب المجد من كبد السماء ، فيا لها ماقد تضمنت جريدتكم الباهرة الغراء ، من عبارات مهذبة ، واستعارات مستعذبة ، وأساليب موشحة ، وأساجيع مستملحة ، فقد وشيتم اذ أنشأتم [illegible] حزمكم ، وأذهبتم من أسهمهم ، وخرعتم [illegible] هذه الصفات ، وفريع تلك الصفات ، وقرن ذلك الجمال ، وقرين هذا الكمال ، وما برحنا ننقل تلك الامضاآت الأنيقة ، من مجلتكم الرشيقة ، الى اللغة الهندوستانية ، من العربية العقبانية ، وننشرها في مجلتنا الشهيرة « بعلي كده انستيتوت » يستفيد منها اخواننا الجاهلون ، ويستضيء بها المستضيئون ، ويستعين بها من أضر به ريب المنون ، لدفع كل ملمة ملكية ، وكشف كل مهمة سياسية .

وقد كان قبل ذلك بمدة تنيف على ثلاثين سنين ، قد نشأ في تلك الآفاق والارضين ، رجل من أفاخم الاعيان ، اسمه السيد أحمد خان ، كان رجل همة في اصلاح المسلمين ، والفور التام في دفع الصغار والنكبة عن إخوانه في الدين ، وكان رجلا متطماً منطيقاً ذا لسان ، ومنطق وبيان ، يعد في مصاقع الخطباء ، وينخرط في سلك نبلاء الادباء ، يبهر الناس بأساليب خطابه ، ويستجلب الخلق بديع خطابه ، ونادر سجعه وتسكابه ،

لن يكتم سره والمراد ان الرسم البالي الذي بقي من الاسلام هو سر مكتوم خفي غير ظاهر وقد يضرب المثل للشيء الظاهر لان من معاني الوحي الكتابة والكتابة في الحجر تكون نقشاً ظاهراً وليس بمراد هنا

فبادره العلماء الاعلام بالسب والشتام، ورشقوه بنبال المذل والملام، ولعنوه على المنابر في جوامع الاسلام، على مر الدهور وكر الاعوام، وأعلنوا بكفره، وآذنوا بالخروج عن ملته، وأفتوا بإباحة دمه، وهو مع ذلك لا يكترث بما كان يقع عليه، وما يبالي بما كانوا ينتضون له من سيوف العداوة معه، وكان لا يفتر عن جده واجتهاده، والضرب بعصا التسيار في ميادين بلاده، ولما صبر على كل ذاك الاذى، وجاهد كالبطل الكمي في ميادين الوغى، لم يبرح من وطنه، أن تمثل له الظفر وخذا بين يديه وسار من مكامن عطفه.

ولكن قد قل منكم نشر تلك الامضاآت البديعة في اصلاح المسلمين، واجتهادكم في تحسين أمورهم من الدنيا والدين، منذ حين، وأرى كم قد اقتصرتم على اقتباس جزء يسير من تفسير العلم العليم الرزين، حكيم الاسلام والمسلمين، وفخار الملة والدين، وسناد العلماء السادة الاساطين، حضرة مولانا الفاضل العلامة الشيخ محمد بن عبده مفتي الديار المصرية متعنا الله ببقائه ولعمري هو اليوم فارس رجالنا، ورأس أمانينا وآمالنا، [illegible] الظفر بما هو غاية اربنا في الحياة الدنيا من حصول النهضة الاخرى على النهضة الاولى، ولا نجد لذلك مثله في تجديد تلك الخلقاء الهابطة السفلى. (١)

• • •

وقد أدهشنا خبر هائل وصل الينا من الجامع الازهر وأوحشنا وأقلق جل أحبابنا والامعة وأراق الدماء من الجفون والمقل، وكادت القلوب لها أن تهيل، (٢) وقد انصدعت له الصدور، وتصدعت لها المهج في شلو كل مصدور، وذلك ما شاع عن هذا الفيلسوف السرسور (٣) والحلاحل الوقور، والنبراس في ظلمات الديجور، من رفض ما كان اليه من نظارة الجامع المذكور، أسفاً على ما تجرب من جفاء أهل عصره، ولا سيما علماء مصره، ومساعدة الحضرة الخديوية للعلماء، وقضاتها

(١) المنار: الخلقاء مؤنث الاخلق ومن معناه الاملس وتسمى السماء خلقاء والخلقاء الجبهة مستواها يريد في مستوى هذه الارض (٢) يقال تهيل لساله واهتيل اذا اكتسب، ولعل الكلمة في الاصل تهبل من هبل ولده واهتبله اذا ثكله (٣) السرسور بالضم الفطن العالم الدخال في الامور، والحلاحل السيد في عشيرته الشجاع الركين في مجلسه

بخلاف ما كان يرجى من تلك الحضرة الغراء ، لما كان أيده الله تعالى يريد من اشاعة العلوم الحديثة ، واذاعة المعارف والحكم الجديدة ، زيادة على ما كان يجري فيه من دروس العلوم الشرعية ، والمسائل الفرعية ، ولما لم يصغ أحد الى رأيه ومقاله ، ولم يكترث رجل الى ما كان فيه من محض نصاحته ، تمثل لنا عند ذاك اليأس ، وتجسد لنا شبح القنوط والابلاس ،(١) لحو دهذا النبراس ،فقد كنا نظن قبل ذلك ان سوف يحفل به عنا ليل المحن ، ويقلع عنا دامس الفتن ، وتقوض عنا خيام البلاء ، وتخطف عنا سهام الضراء ، وتتنفس علينا صبح الاقبال ، ويطلع على وجهنا فجر الآمال ، من أجل ذاك البارع الحكيم المفضال ، وكنا نظن انه قد توقد في الاسلام مصباح يستوقد منه آلاف الوف من المصابيح ، ومفتاح يتفتح به مغالق أبواب الفرج والتراويح ،ولكن قد تبين الآن أنا لم نبرح عرضة للبلاء ،ودرية لرماح الضراء ، وجزراً لسيوف البأساء ، مازالت هذه الخضراء تدور على الغبراء ، وما أشبه حال هذا الحكيم الرزين في المصريين ، بحال السيد أحمد افندي اعترتك على حاله في الهنديين ، فقد عظمت الرزية ، وجلت المصيبة ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، (ورقمه (الكاتب) محسن الملك)

جواب المنار

يريد السيد المحسن حفظه الله بالامضاآت التي كانت تنشر في المنار ثم تركت تلك المقالات الخطابية التي تمثل للمسلمين ضعفهم الحاضر ،وتذكرهم بمجدهم الغابر ،وتحثهم على اصلاح شأنهم في الدنيا والدين ،والاعتبار بترقي المعاصرين ، وهذا ما كنا نكثر منه في اول نشأة المنار ليكون تمهيدا لإعداد النفوس لقبول ما نعرضه من الرأي في الاصلاح الديني والاجتماعي ولإعمال الفكرة وتوجيه الهمة ، الى السعي والعمل لخدمة الامة ،ولكنا رأينا الناس قد استحسنوه ، وكثيرا من أصحاب الصحف قد احتذوه وتقلدوه ، حتى صار كأنه مقصود لذاته ، لا لأجل عمل من ورائه ، ولذلك صرت ترى في الصحف المصرية التي تسمى اسلامية كلاما كثيرا في حال المسلمين حتى من الذين لم يعرفوا من الاسلام ، الا ما يعرف اجهل السوقة والعوام ، وان ما عنينا به في المدة الاخيرة يشبه ان يكون مقصدا أو غرضاً لتلك المقدمات او الممهدات ، ولا يحسبن الاخ الكريم أنا تركناها يأسا من صلاح حال المسلمين ، أو فرقاً من

(١) الابلاس هو الغم من اليأس والحيرة

مناصبة المشاغبين ، التي لابد ان يكون عرفها من تصدي جريدة المؤيد للوقوع بنا ، بعد ما كانت تشيد وتنوه بعملنا ، كلا ان هذا لايزيدنا الا قوة في الامل ، وهمة في العمل ، لان اللوم بطبعه اغراء ، والمقاومة من بواعث الاعتناء ، كما رأيتم في فاتحة المنار لهذه السنة . على ان ماننشره من الحكم والمواعظ في التفسير ، وماندعه في مطاوي سائر المباحث من التنبيه والتذكير ، هو في معنى تلك المقالات التي تنشدون ولا تخلو من الخطابيات التي تخطبون ، وقد طالبنا غير واحد صريحاً ، بمثل ما أمر السيد به تلويحاً ، ولذلك وعدنا في خاتمة السنة السابعة ، بالعود الى تلك المقالات في سنتنا الحاضرة ، وقد نشرنا في الجزء الثاني منها مقالة (حياة الامم وموتها) مقدمة للكتابة في أنواع الحياة وحالنا فيها ، وسيتلو الكتابة في الحياة الزوجية ، مقالات في الحياة الملية والوطنية والسياسية . ونرجو من فضل الله وكرمه ان لانزداد الا ثباتاً واعتناء مادمنا آمنين في سربنا معافين في بدننا قادرين على النفقة على انفسنا ومجلتنا

واما ترك الاستاذ الامام للازهر فهو لم يكن من يأس ألم بنفسه الكبيرة ، ولا عن ضعف في همته العلية ، ولا لمقاومة علماء الازهر لما يريده من اصلاح التعليم ، او اضافة علوم جديدة على ما يقرأ في الازهر من العلوم ، وانما هو ما تسمعونه من الجرائد المصرية ، ونزيدكم فيه بياناً بحكاية شخصية ، وقد ظلم العقلاء عندنا وعندكم علماء الازهر فأنزلوهم من درجتهم في العلم والفهم ، كما أعطوهم اكثر من سهمهم من الشعور والاخلاق ،

أما ظلمهم إياهم فهو اعتقادهم وقولهم فيهم انهم يعتقدون بأن العلوم الدنيوية تقوض بناء الدين ، وتفسد العقائد في قلوب المسلمين ، وإن إصلاح طريقة التعليم ، خروج عن صراط السلف المستقيم ، وكل هذه الظنون فيهم باطلة فان من أصحاب الدرجة العلمية الاولى فيهم من يعلمون أولادهم العلوم الدنيوية في المدارس الاميرية وغيرها فكيف لايخافون الكفر والضلال على افلاذ أكبادهم مع عدم تمكنهم من العلوم الدينية ويخافون ذلك على طلاب الازهر المتوغلين في علوم الدين ؟ ان هذا شيء لايعقل . ثم كيف يطعنون بأكابر علماء الاسلام الاعلام الذين تمكنوا من علوم الدنيا وصاروا يعدون من الفلاسفة كالامام الغزالي والامام الرازي وفلان وفلان ؟ ثم كيف لايطعنون بدين أكابر امرائهم وحكامهم في هذا العصر وهم قد تعلموا هذه العلوم في مدارس مصر وأوربا وقلما يوجد فيهم من تاتي عقيدة الاسلام

يراعيها أو عرف مهمات أحكامها ولو غفلا من دلائلها وحكمها وان منهم من يصف بعض هؤلاء الأمراء بالتقوى والصلاح • فظلم وأي ظلم لعلماء الازهر ان يقال فيهم إنهم يعدون علوم الدنيا خطرا على الدين أو عائقا عن علومه وأنهم يجهلون ان الاسلام جمع بين مصالح الدارين وأنه دين عام وأن لادين بعده أوفق لمصلحة جميع البشر منه مع استلزام هذا لكون الاسلام يتفق مع علوم البشر ومدنيتهم في كل زمان والا كان متضمنا لتكليفهم مالا يطيقون • نعم إنه يوجد فيهم بعض الأغبياء الذين يعبث بهم هذا الوهم ولكن الحكم على جميعهم أو أكثرهم بذلك ظلم وجور • وانني أقول ان الاستاذ الامام لم يقرر في إصلاح الازهر شيئاً الا برأي جماعة من كبرائهم واستحسانهم وقد نقد بعض ماطلبه وحاوله برضاهم وموافقتهم وأوقف بعض الاصلاح للأسباب التي لا أصرح بشرحها بعد رضاهم به واعترافهم بفائدته

وأما وصفهم بأكثر مما يستحقون من الشعور بالمصلحة وارادة الخير فهو تابع لذلك الظلم وهو اعتقاد كثير من العقلاء في مصر وفي أقطار أخرى أن هؤلاء الناس أعداء الاصلاح الذي [illegible] أو بهم من الشعور بضرره ولما عندهم من الارادة [illegible] الناهية على الاسلام والمسلمين وأنهم لايخافون في ذلك لومة لائم ولا سطوة حاكم، ولا حرماناً من منفعة مالية، أو كسوة تشريف قصبية، والحق أن هذا الصنف الشريف الذي كان له من قوة العزيمة بالاتحاد والاتفاق ما يقيم به محمداً عليا حاكما على البلاد المصرية قد استضعف فضعف حتى صار لايجهر برأيه الا اذا أيقن ان قويا يعده، أو حاكما يسنده، وكثيرا مايستحسن أمرا ثم يستهجنه، أو يستقبح شيئا ثم يستحسنه • ولقد كان أكابر علماء الازهر موافقين للشيخ محمد عبده في كل شيء يقترحه لاصلاح الازهر ايام كان مؤيدا بنفوذ الامير وانما كانوا يرغبون اليه في أن يكون ذلك بالتدريج البطيء لانهم لم يتعودوه ويثقل على المرء لاسيا الكبير السن فيما لم يتعوده • ولما بدا للامير في تأييده ومساعدته وقف في اقتراح، وعورض كل اصلاح، حتى لم يبق للحكومة الخديوية ثقة بتخريج القضاة في ذلك المكان فهي ستنشئ مدرسة جديدة لتخريجهم فيها ولم يبق لها من العناية بالازهر الا حفظ الامن فيه كما هو حق كل مكان وكل شيء على الحكومة

لاجل هذا ترك الازهر ولكن آثاره الصالحة لن تترك فهو قد وضع أساس النظام الذي قد يضعف تارة ويقوى تارة وقد يزاد فيه وينقص منه ولكنه لايزول •

وهو قد نفخ في نفوس كثير من الاذكياء فيه روح الشعور بالحاجة الى اصلاح التعليم وإصلاح الاخلاق وخدمة الاسلام والمسلمين والسعي في ازالة ما غشيهم من البدع والفتن فاضعفهم وأذلهم فلن يموت هذا الشعور. ثم انه لم يزدد الا رجاء بالله وهمة في خدمة ملته بالعمل والتدريس والتأليف لا يثنيه عن ذلك ما ابتلي به من المرض أحيانا شفاه الله ونفع به آمين

هذا وان العبرة الكبرى فيما كتب هذا السري الكبير هو احساس المسلمين المخلصين الذين يعرفون الاسلام ويغارون عليه بأن الاصلاح اذا ظهر في أي قطر ففائدته لابد أن تكون عامة لكل البلاد الاسلامية وان النور اذا ظهر في هذه الامة من اي مطلع فانه ينبسط على جميع البقاع لان هذه الامة أمة واحدة ربها واحد وكتابها واحد ونبيها واحد والهداة في دينه على ملة واحدة وهي ما جاء به نبيه عنه ومصلحتها لذلك واحدة فما يضرها يضر جميع المنتمين لها وما ينفعها ينفعهم أجمعين. لاجل هذا أحس الاحياء من مسلمي الهند بأن ما دعي به الاصلاح في الأزهر هو مصيبة على الاسلام والمسلمين في جميع الارض لا يمكن ... أن يكون ... ونعم عاما لجميع مسلمي الارض ولو مسيحيون فلذا ... أن يقطعوا أوصال المسلمين بنزعات الوطنية ... في هذا الاحساس المرتبط من إخواننا في الهند وكذا في غيرها كما نشير اليه في النبذة الآتية :

تأثير ترك الاستاذ الامام للأزهر في المسلمين

لقد اضطربت قلوب عقلاء المسلمين ووجمت نفوسهم لهذا النبأ في كل قطر فقد جاءتنا الكتب والرسائل في ذلك من السودان وسوريا ومن بلاد المغرب والمشرق ما بين شاكية وباكية منها ما لا يعرف مرسلوها عذر الامام، ويرون أن لا عتب عليه ولا ملام، لوقوفهم على حقيقة أحوال هذه البلاد فرأيهم في ذلك كرأي أكثر العقلاء في مصر الذين استشار الامام بعضهم فأشاروا بوجوب تركه، ومنها ما يتضمن اللوم لاعتقاد أصحابها أن الاستاذ الامام قد يئس من إصلاح المسلمين فترك خدمة الملة مللا من مقاومة الجامدين، أو علما بأنهم غير مستعدين، وقد آلمهم ذلك لانهم يعتقدون أنه أكبر زعيم للاسلام في هذا العصر وأقوى اسير له في علمائه ويشعرون بأنهم يستمدون منه الحكمة والعبرة والرأي الصحيح على بعد الديار وتنائي الاقطار ولا أنكر اني أعرف من أذكياء المسلمين الاقربين دارا بل ومن المصريين أنفسهم من

سرى اليه شيء من هذا الوهم • وقد آلمني وسيؤلم كل ذي غيرة وشعور قول (محسن الملك) ان اليأس والقنوط قد تمثل لأهل النهضة الاسلامية في الهند وشعروا بأن قد طفئ نور الصلاح المنبعث من هذا الامام فوقعوا في حنادس الظلام — يحزننا ويمضنا هذا القول من قوم نعتقد أن نهضتهم أعلى من نهضتنا، وهمتهم أعلى من همتنا، والامل فيهم أقوى من الامل فينا • ولا نعظهم الا بهذا الرجل وباتقان اللغة العربية لاننا نراهم يرجوننا أكثر مما يرجون أنفسهم كأنه يسرنا شعورهم بارتباطهم بنا ولا يأس منا ولا منهم ان شاء الله

ان من أغرب ما كتب الينا فى هذه الحادثة نبذة لاحد الفضلاء في فاس وهي:

«قد ساءنا وايم الله ما بلغنا من استقاله حضرة جناب الاستاذ الامام ، وعلم علماء الاسلام ، فريد هذا العصر ، وغرة جبين الدهر، ذروة جهابذة الآفاق، ونخبة كبراء المصلحين بالاتفاق ، مولانا وسيدنا الشيخ محمد عبده أدام الله بقاءه مرشدا للعالمين من عضوية إدارة مجلس الأزهر الشريف الذي كان متعنا الله بوجوده مجتهدا فى اصلاحه كما ساءتنا [illegible] ولكن ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » [illegible] بعد ورود هذا الخبر جميع محبيكم ويحيي الاستاذ الامام [illegible] في إصلاح الامة الاسلامية الخ

وانما كان هذا غريباً لان تلك البلاد أبعد بلاد المسلمين عن التفكر فى الاصلاح أو الشعور بالحاجة اليه ولكن هذه الافكار قد سرت في كثير من أهلها من بعض المهاجرين اليهم من المسلمين ومن قراءة بعض الصحف كالمنار • وقد ختم هذا الكاتب كلامه بقوله « وأدام الله بقاءكم رغماً عن أنف الجاهلين والمستبدين والمفسدين والمقلدين » اه ويوشك ان ننشر آراء اخرى في جزء آخر

صدى الحادثة فى أوربا

(أو مقاومة النفوذين الفرنسي والانكليزي للاستاذ الامام في الاصلاح)

نشرت جريدة اللواء فى عدد يوم الخميس (١٣ ربيع الاول) خبراً قالت انه مترجم عن جريدة (الغلوب) الانكليزيه بغير تصرف وهذا نصه بغير تصرف

«اختلف العلماء من عهد قريب بشأن التعليم فى الازهر وسبب ذلك ان رئيسهم الشيخ محمد عبده حاول إدخال نظام للتعليم أوسع من النظام الحاضر — الذي وضع من قرون مضت والذي لا يتضمن غير محض تعليم مواد الأجرومية وقليل من بعض

العلوم الاخرى ـ بقصد تكوين قوة جديدة في الاسلام ويريد الشيخ محمد عبده السالف الذكر إدخال العلوم الحديثة في بروغرامه الجديد ليستعين بها العلماء على اكتساب ارزاقهم من طرق العمل والجد لا الكسل والتواكل

«وقد قاومه العلماء في مشروعه هذا مقاومة شديدة واتصل بنا انه قال في حديث له ان السبب في عدم نجاحه وفشله النهائي راجع الى محاربة النفوذين الفرنساوي والانكليزي السياسيين له واستشهد بعبارة نشرت في الكتب السياسية الفرنساوية مؤداها ان سواس فرنسا من الحزب الاستعماري لا يقبلون بوجه من الوجوه تنور المغاربة بنور العلم » اه

﴿ ملاحظة المنار أو انتقاده على ذلك ﴾

يعجب المصريون أن يروا في الجرائد الانكليزية من يخبط في المسائل المصرية على غير هدى مع وقوف الانكليز هنا على حقائق الامور وقد ذكرنا وذكر غيرنا ممن قرأ تلك النبذة في جريدة اللواء ما كان أشيع هنا بعد ترك الشيخ محمد عبده لمجلس ادارة الازهر من أن بعض المصريين الذين لهم حظ فيما حدث في الازهر كلفوا أحد مكاتبي الجرائد الانكليزية أن يكتب لجريدته التي يكاتبها شيئا يفيد معنى ما كتب في بعض الجرائد المصرية التي لها هوى في الحادثة من ان جميع علماء الازهر مضادون للشيخ محمد عبده فيما يريد من أصلاح التعليم و زيادة العلوم في الازهر ويتضمن شيئا آخر يفيد سخط الانكليز على الشيخ وأتذكر أن بعض الجرائد الاسبوعية في مصر كتبت شيئا عن هذه الاشاعة وقالت ان ذلك سيكتب ثم ينقل في بعض الجرائد المصرية اليومية

مالنا ولما أشيع في سبب الكتابة ولما قيل في مصدرها انما نحن أمام قول يتضمن خبرين أحدهما أن علماء الازهر كارهون ومقاومون لما يريد الشيخ محمد عبده من النظام وتوسيع دائرة العلم في الازهر وقد بينا في كلامنا على رسالة محسن الملك« أن هذا غير صحيح وأن علماء الازهر برآء مما يرمون به من الغلو في بغض العلم والنظام ، والجهل بما يعني شأن الاسلام ، وثانيهما ان الشيخ يقول انه لم يحقق فيما حاول من اصلاح الازهر الا بمقاومة النفوذين الفرنسي والانكليزي له

لان ترقية المسلمين تناقض مصلحتهما في استعمار بلادهم · ونقول إن هـذا النقل عن الشيخ غـير صحيح وان كان أكثر المسلمين يعتقد بصحة علته المذكوره · ولا يعقل أن يقول الشيخ ذلك لان فرنسا لانفوذ لها في الازهر ولا في مصر فتقاوم ولان الانكليز لم يقاوموه لما هم عليه من الحرية وعدم التعرض للمصالح الدينيـة على ان المصريين الذين لم يقدروا حرية الانكليز حق قدرها، ولم يعلموا أنها تمثل مع الفضيلة في اللورد كرومر في أبهج صورها ، يتعجبون من عدم مقاومة الانكليز لاصلاح الازهر في السنين الماضية ويظنون أن لهم يداً في المقاومة الآن

أما الشيخ محمد عبده فقد سمعناه غير مرة يقول انه ما قصد الى خدمة المسلمين في شيء والتي مقاومة فيـه من غيرهم لامن انكليزي ولا من افرنسي ولا من قبطي ولا من شامي · ولاغرو فان جهل المسلمين وتخاذلهم في هذا العصر كافيان لاحباط كل سعي لترقية شأنهم لايحتاجون الى مساعد في ذلك ومن يسعى بعقل لايقاومه العقلاء

هذه فرنسا التي كان تشددها في مقاومة تعليم المسلمين في الجزائر أمراً معروفاً قد أنشأت ترجع الى مسلك الانكليز في التساهل وقد تكلم الشيخ محمد عبده مع رجالها في تونس والجزائر في مساعدة المسلمين على التعلم فوجد منهم ارتياحا الى ذلك وقد نشرت جريدة الطان من عهد قريب مقالة في الاحتفال بمدرسة الجمعية الخلدونية ذكرت فيها أن مصدر هـذه الحركة العلمية في تونس هو الشيخ محمد عبده وبعض المجلات العلمية المصرية التي تحث المسلمين على الجمع بين علوم الدنيا والدين وتردفيها رأي الذين يظنون أن تعليم المسلمين يضر بفرنسا لان هؤلاء المتعلمين يكونون دعاة لاستقلال البلاد وقيامهم على المستعمرين لها · وترجمت الاهرام مقالة الطان فسر بها المسلمون هنا

(الاحتفال بالعيد المئوي لمحمد علي والايماء لانفصال مصر عن تركيا)

احتفل جماعة من المصريين بتذكار تولية محمد علي باشا على مصر منذ مئة سنة ميلادية · وقد اعتبروا ابتداء ولايته اختيار المصريين له دون فرمان السلطان بتوليته الذي كان بعد مثل يوم الاحتفال بشهر وأيام كأنهم يريدون ان هـذه الحكومة استقلت بذاتها من طريق الانتخاب لابالتبعية للدولة ذات السيادة عليها وكنا نعهد بأمثال هؤلاء المحتفلين الحرص على إظهار ربط مصر بالاستانة قاعداً مما بدا ؟